

13.9.2015

باسكال كينيارد

الاسم على طرف اللسان

روايـــة





ترجمة : محمد المزديوي

www.kutub-pdf.net

باسكال كينيارد

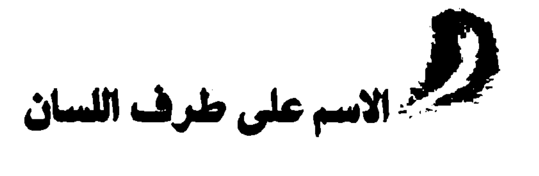
الاسم طرف على اللسان

ترجمة : محمد المزديوي



Twitter: @ketab_n

www.kutub-pdf.net



Twitter: @ketab_n

www.kutub-pdf.net

▪ باسكال كينيارد
▪ الاسم على طرف اللسان
▪ ترجمة: محمد المزديوي
▪ جميع الحقوق محفوظة للناشر©
▪ الطبعة الأولى 2014
▪ الإخراج الضوئي: هالا خليل
▪ الناشـــــر: دال للنشـــــر والتوزيـــــع
سورية - دمشق - ص.ب: 29170
هاتف: 00963 944 464830
البريد الإلكتروني: n_hammdan@yahoo.com

All rigyts reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, inclouding photocopying, recording, or any information storage and retrieval system, without permission in writing form the publisher.

Twitter: @ketab_n

www.kutub-pdf.net

تنبيه

في الخامس من يوليو، كنت أتناول طعام العشاء عند ميشيل ريفيردي مع بيير بوليز وكلير نيومان وأوليفيي بومونت. تطرقت ميشيل لمسألة طلب حكايةٍ قدّمتْهُ الفرقة الموسيقية في باس ـ نورماندي (نورماندي السفلى)، بقيادة دومينيك ديبارت. وجدنا كثيراً من الصعوبة في تقطيع أطراف من كتلة بوظة بالقهوة.

لويت سكيناً.

صوّب السيد بوليز، وهو واقف وسكين جديد في يده. لكن كتلة البوظة قفزت أرضاً، ولم يكسّرها الاصطدام بالأرض. مُرِّرَت

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

البوظة تحت الماء. كنتُ أحكي عناصر حكاية كان العجز اللغوي فيها هو مصدرُ الحركة فيها. هذا الدافع بدا لي يُوجّهها، أفضل من كل حكاية، إلى الموسيقى. الموسيقيون، شأنهم شأن الأطفال، وشأن الكُتّاب، هم سُكّان هذا العجز. يقيم الأطفال، سبع سنوات، على الأقل، في هذا العجز، التي تدل عليها كلمةُ الطفولة ذاتُها. يحاول الموسيقيون التخلص منها عن طريق الغناء. الكُتّاب يتشبّتون فيها إلى الأبد في رعب. وعلى أي فإن الكاتب يحدد نفسه، ببساطة، من خلال هذا الانذهال في اللغة، الذي يقود، أيضاً، معظمهم إلى أن يكونوا ممنوعين في الشفهي. توقف جان دي لافونتين Jean de la Fontaine، عن قراءة خرافاته. ودعا لهذا الغرض ممثلاً يدعى غاش Gaches، الذي كان يقف إلى جانبه، دائماً، حين كان يخشى من إهانة القراءة. لكن من هو الإنسان الذي ليس لديه عجزُ اللغة مصيراً والصمتُ صورةً أخيرة؟

سقط كأسٌ. كتلة الحلوى سالت في الصحن الذي يحتوي الجُبْن.

اثنان منا جاءتهما فكرة طلب السكّين المستخدم لقطع

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

الخبز من ميشيل ريفيردي.

نهضت ميشيل، استدارت نحوي وقالت لي إنها تفكر في هذه الحالة أن تحضر اثني عشر وتَراً ومجموعة الآلات المكونة لـ «موسيقى الغرفة» ومعزف قيثاري وآلة إيقاعية.

احتميتُ في فوطتي، وقلتُ لميشيل إنني في هذه الحالة أحتاج إلى مقعد خشبي وفنانة كوميدية وطاولة وقدّاحة صوْفان وشمعدان. قلت لها إنني أحتاج أيضاً إلى دائرة الفتل وإلى مَغْزل، ودائرة تطريز. أضفت تفاحة. أرسلتُ إليها الحكاية يوم 17 يوليو.

عدتُ من إيسلندا يوم الأربعاء 7 أكتوبر / تشرين الأول 1992. كنت متهلّلاً، فقد رأيتُ مكان الجحيم، المكان الذي تعتبر الأرضُ فيه شأن الحياة غيرَ كريمة على الإطلاق، وعلى كل فالحياة نادرة في المكان. رأيت المكان الذي لا وجود فيه للربّ. رأيت المكان الذي جاء منه قدماء النورمانديين الذي نزلوا في مدينة كاين Caen، والذين نهبوا أفرانش Avranches.
في اليوم التالي، الخميس 8، جلست ميشيل إلى البيانو وأدّت الثيمات الأساسية التي سجّلَتْها. كنت معجباً بسطور الغناء

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

التي كتبتها يدُها، بسرعة، بقلم الرصاص، والتي كان صوتُها يريد أن يؤديها. تناولنا من جديد مجمل الحكاية بغرض جعل توالي الصمت أكثر فجائية وهذا بغرض تعزيز الناقضات ومفعول التخلّي الذي تسببه هذه التناقضات، مع الرغبة، أخيراً، في وسم الإيقاع في الأقسام التي يظل فيها الصوت النسائي وحده من يتحدث في المشهد. أدخلنا تعديلات على النص. لدى جلوسي إلى آلة الكتابة، رقنت النص المضغوط الذي توصلنا إليه، وبعثت به إلى ميشيل ريفيردي، يوم 15 أكتوبر.

النص الذي تم تجميعه هو المطبوع على الورق. إنه النص الكامل الذي خضع للتطوير، والذي أنشره هنا.

وبالنسبة لمن يعيد نسخ الكلمات، وبالنسبة للموسيقية التي تغنيها، وللممثلة التي تتلفظ بها بوضوح، للقارئ الذي يتابعها والذي ينشغل في دلالتها، فإن هذه الكلمات تبدو أقلّ غموضاً من كاتِبها. من أجل كتابتها، بحث عنها. ومثل هذا السكّين المتوقف أمام كتلة من البوظة تهرُبُ منه، فإن من يكتب هو رجلٌ ذو نظرة متوقفة وجسم متجمد ويدين ممدودتين تتضرعان

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

إلى الكلمات التي تهرب منه. كل الأسماء تقف على طرف اللسان. إن الفنّ هو معرفة استدعائها حين يتوجب الأمرُ، ومن أجل سبب يبعث الحياة في أجسادها الصغيرة والسوداء. الأذن والعين والأصابع تنتظر في دائرة، مثل فمٍ، هذه الكلمة التي يبحث عنها النظرُ، في آنٍ واحد، بحدة وفي كل مكان، أبعد من الجسد، في قعر الهواء. اليدُ التي تكتب هي بالأحرى يدٌ تفتش اللغة الناقصة، وتتحسس اللغة التي ظلت على قيد الحياة، وتتشنج، وتغضب، والتي تتوسلها برؤوس أصابعها. كلمتا «Bout» و«debout» كلمتان حديثتان مستاقتان من اللغة التي كان يستخدمها المحاربون الفرنجة في الفترة التي اجتاحوا فيها منطقة الغال. كلمة «Bautan» تعني bouter، أي دَفَع وصدّ. على طرف «bout» اللسان: شيءٌ ما يَنبُتُ من دون أن يُزْهر. شيءٌ ما ينبت ويدفع من دون أن يستقر على شفتي من يرصُدُ في الصّمت. إنه «bouton»[1] بُرعم الإزهار غير المرئي للغة الذي يظل واقفاً على الفم بعد الأكل والهضم، زيادة عن النَّفَس الذي

---

[1] يلعب المؤلف على تعدد معاني كلمة Bouton، من حيث هي، في آن واحد، برعم ودملة وزر معطف، وغيرها....

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

تستخدمه عملية التنفّس بغرض الحفاظ على الحياة. كان أرسطو يقول: «الكلام تَرَفٌ من دونه الحياة ممكنةٌ». دُمْلة bouton تكبر على الفم كما تنبت على الأشجار، أو على الثياب أو على الوجوه. للمراهقين الحق في اعتبار الدمامل boutons قبيحة وهي تُشوّه وُجوهَهُم. إنهم بصدد فقدان الوجه إلى الأبد. إنها آثارُ مستقبلٍ يأتي الموت فيه حاملاً شهادة كونه بدأ يبرز، وأنه ظهرت الأرضُ التي أصبحت الحياة الجنسية مُخلَّدَة، أي تناسلية، أي المنبثقة قبل أن تخمد قوتها في مَظْهر من مظاهر الموت. الوجه الشخصي أصبح ذاتَهُ أكثر من ما هو اسم عَلَم، على الرغم من أن الوجه الشخصي لا يحافظ على الحياة أكثر مما تأتي اللغةُ لتثبيتها. الاحتضارُ هو الدملة التي تدفعها اللغة في مواجهة أطراف وُجوههم. البراعم على الأشجار هي دمامل الأزهار. الأزرار على المعاطف هي براعم من صَدَفٍ.

سنحتمي جميعاً في معاطفنا في محطة ليزيو Lisieux، كل الأزرار مغلقة. درجة الحرارة بلغت ستة تحت الصفر. لكن القِباب والمطر والطحالب والصمت والجليد كانت حاضرة في

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

مدينة هيروفيل Herouville. كـان تـأثري شـديداً وأنـا أكتشـف أفـرانش. نقلـتُ كـثيراً عـن هييـت[2] Huet. كـان موسـيقياً، فيلولوجياً وجانسينياً ومتبحراً في المعارف وعقلانياً. ألّف كتـابين رائعين: رسالة حول أصل الروايات والأوتوبيوغرافيـا الفرويديـة الطويلة والقاسية التي ألفها باللغة اللاتينية من أجل «منعها عن النميمة ونظر الذين لا يسمعون شيئاً». في 6 مـايو 1680، عـاد إلى مدينــة كــاين Caen؟ بعــد أن أصــبح أســقفاً في أفــرانش Avranches. «كـان يقضـي فـترات الصـيف في أونـاي Aunay وفترات الشتاء في باريس. كان يريـد أيضـاً أن يـرى مـن جديـد أراضـي أجـداده، فسـافر إلى الـدنمرك. ومـن هنـاك توجـه إلى النرويج والسويد. ولم يفوت فرصة الـذهاب إلى قـبر Chevalier Des Cartes». يصف في رسائله هذه «المنازل الطينية والتي لهـا كقمم الحقولُ الخضراء والمزهرة». كانت السماء تُمطـر في مدينـة كاين Caen. الاسم على طرف اللسـان، ظهـر للوجـود يـوم 17 نيســان 1993 في ليزيــو Lisieux، ويــوم 18 في هيورفيــل

[2] يقصـد المؤلـف Pierre-Daniel Huet صـاحب كتـاب Traite sur l ,origine des romans

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

Herouville، ويـوم 20 في أفـرانش Avranches. تقـدّم معصـرة لوميزْوار، بوظة بالقهوة، كحلويات، في قائمـة الأكـل. تـرددت ميشيل ريفيردي. أنا تناولتُ كعكة اليوم.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

الاسم على طرف اللسان

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

أين هو الجحيم؟ أين هي الضفة المظلمة في أعماقنا حيث كل من يتنفس يغْرق؟ أي يوجد الجحيم إذا كان مُتضمَّنا في تفاحة قطفتها للتو امرأة شابة وقدمتها هدية؟ أين هو المكان الذي يتعذب فيه الجميع؟ في إقليم نورماندي، ينمو العشب بشكل مستمر، الشتاء قارس جداً، والطرق مُقعَّرَة، تمطر السماء دون نهاية، العشب مَلِكٌ، وأشجارُ التفاح تثمر بسخاء.

البحر المحيط سيد المنطقة والريح سيدتُهُ. كما أن أسياد المحيط كانوا أسياد هذه الأرض. أسياد الريح، هم البحّارة. في النورماندي، من يقلب الأرض هو بحّار. حتى الذي يقطع ملابسه هو بحّار. حتى الذي يعصِر شراب التفاح هو بحّار. وحتى شبه جزيرة كوتونتين هي مركب بحّار يُدفَع به في البحر. إنها دراكار (مركب قرصان استخدمه النورمانديون

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

قديماً) مشدوداً على الضفة البيضاء للمحيط.

توفي الملك لويس الثاني (من الملوك الكارولينجيين) وكان لجلاجا، سنة 879، في شهر إبريل / نيسان. وبعده تولّى كارلومان. وفي هذه الفترة تجري فصول هذه القصة، وهي فترة لم يكن فيها أحدٌ من الأرياف والموانئ يعرف القراءة والكتابة. الألفية الأولى تقترب. حينها كان يوجد في دوقية النورماندي من ينتظر نهاية العالم، ومن لا ينتظره. من جهة كان ثمة المسيحيون، ومن الجهة الأخرى الدانمركيون. ولكنهم كانوا متداخلين فيما بينهم. ولم ينجحوا في أن يميز بعضهم بعضاً لأن نهاية الأزمنة هو أي دقيقة من أي يوم. حدث هذا قبل غيوم (avant Guillaume).

كانت ثمة بلدة عتيقة، تدعى ديفيس Dives. وكان يقطنها خياط شابّ يدعى بْجُورن Bjorn. وكانوا ينادونه بجون Jeune وكان يُحكى أنّ التسمية تعني الدبّ باللغة القديمة. كان جميلاً. وكان يلبس سروالاً قصيراً منفوشاً ومنسوجاً، وكان قميصه بكمّين مضغوطاً على جسده بواسطة حزام واسع مزخرف. كان يخيط ثياب النساء، وكانت كل النساء اللواتي

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

يأتين لاختيار ملابسهن عنده يجدنه جميلاً، وكن يتمنين لو كان زوجاً لهن. وكان ينسج سجاجيد كبيرة حين يطلب منه ذلك. كما أنه كان يربط الشباك الذي كان يُصطاد به السمك.

كان مراوغاً، وحاضر البديهة. وكان يخيط على الرغم من أنه لم يكن فقيراً. كان يسكن منزلاً يطل على ضفة النهر. في منزله، وعلى عارضته، سيْفان مُعلّقان بشكل دائم. كانت كولبرون تحبّه.

كانت كولبرون تقطن المنزل المُواجِه. وكانت تُطرّز كي تربح لقمة عيشها. كانت مُتيَّمَة جدّاً بجون. كانت تنظر إليه من نافذتها، صباحاً وزوالاً ومساءً. ولم تعُد تُطيق النوم.

ذات ليلة، وبينما كانت تتقلب في سريرها دون أن يراودها النوم، قالت في نفسها:

«لا أجد الراحة. أفكّر فيه، وبطني يوجعني. دموعي تندفع حول جفنيّ. أصبحتُ نحيلة مثل شوكة. أصبح اسمُهُ يُطاردَني، دونما انقطاع».

في صباح اليوم التالي، لبست ثيابها، ربطت إلى الأمام ممئزرها المغطى بتطرْيزات حمراء وصفراء، واجتازت الطريق.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

دقت على نافذته الخشبية. رفع عينيْه بمظهر متجهم لأنها كانت توقفه عن عمله. قالت له إنها تحبه وإنها ستكون سعيدة لو أصبحت زوجة له. وأضافت:

«أحب كلَّ شيء، فيك. أعشق حتى رنة صوتك. ما الذي تعنيه، في نظرك، رنة صوتك؟ لا شيء. أما بالنسبة لي، فهي ما ينعشني».

وضع جُون خيطه. نظر إليها. قال لها إن عليه أن يفكر في الأمر. قال لها بأن طلبها يُشرِّفُهُ. قال لها بأنه ينظر إليها، دائماً، بمتعة، وهو يراها تطرز بالقرب من نافذتها. طلب منها أن تمنحه الشفق والليل والفجر، حتى يفكر في الأمر.

في صباح اليوم التالي، قبل منتصف النهار، دق جون على باب كولبرون. كان في ثياب من حرير. وكان يضع على جسده قميصه بكميّن طويليْن وسروال منتفخ وبحزامه المزخرف. طلبت منه الدخول إلى منزلها. كانت في بالغ التهيّج. نظر إلى المُطرّزات الذي كانت بصدد الاشتغال عليها.

ثم استدار نحوها وأخذ يديها في يديه. قال إنه يفكر في أن يصبح زوجَها، ولكنه يضع شرطاً أمام زواجهما. قال:

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

«يقال عنك، يا كولبرون، إنك أمهر المُطرّزات في قرية ديفيس Dives. فهل أنتِ قادرة على أن تطرزي لي حزاماً في مثل جمال هذا الحزام؟ فأنا لم أستطع أن أفعل ذلك».

ولدى تفوّهه بهذه الكلمات فكّ جُون الحزام الذي كان يحيط بخصره ووضعه بين يدي كولبرون.

مسّت كولبرون الحزام وهي في غاية الخجل لأنه كان لا يزال يحتفظ بدفء جسد جُون الخياط. أجابت:

«سأحاول، يا جُون، لأني لدي رغبة في أن أصبح زوجتك. أتمنى أن أحقق رغبتك».

عملت كولبرون خلال أيام عديدة. سهرت ليال بكاملها وهي تجهد نفسها من أجل صنع الموتيفات التي تزين الحزام. ولكن الرسوم كانت متشابكة، وكانت الخيوط التي تربط بينها في غاية الدقة، وكانت الألوان من الاختلاف بحيث لم تستطع أن تحقق الكمال.

بالإضافة إلى تعب السهر المتواصل كان ثمة تهديد يمثله عدم النجاح أبداً. بالإضافة إلى الحزن من أن تكون عاملة رديئة كان ثمة بؤس أن يرفضها جُون إن نكثت بوعدها.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

غمرها اليأس. وضاع في أعماقها ذوق الحياة. لم تعد تأكل شيئاً. كانت تقول:

«أحبه. أعرف التطريز. أعمل دونما انقطاع، ولكن عملي يذهب عبثاً، ولن أنجح في ذلك».

جثمت على ركبتيها وصلت إلى الله وهي تبكي. قالت:

«يا هذا، يا سيد السماء والموت، كنت من كنت، تعال لنجدتي. ما هو الشيء الذي لن أضحّي به من أجل أن أكون زوجة جون الخياط؟».

ذات ليلة، وبينما كانت كولبرون تنتحب، سمعت طرقاً على الباب. تناولت الشمعدان بيدها.

قرّبت وجهها من مثانة الخنزير المزيتة التي تحمي النافذة من الريح. لمحت شبح سيّد.

كان مرتدياً لباساً رائعاً. وكان يضع صُدْرة ذهبية، وحمالة سيف ذهبية ورداءاً أبيض واسعاً. وَاصَل طرقه على الباب.

فتحت كولبرون الباب قليلاً، بخجل. قال لها السيّد:

«لا تخافي. أنا سيد تائه في الليل. تتبعت أثر الضباب الذي

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

كان يغطي النهر. رأيت نورك مُضاءاً في الليل. فأردت إراحة حوافر فرسي. ربطتُهُ في سياجك. أريد أن آكل وأشرب قليلاً إذا لم يكن الأمر يزعجك».

سمحت له بالدخول. وضعت غصناً مقطعاً في الموقد. وقدمت له شراب تفاح متخمراً. تأملت صدرته الذهبية. أعاد السيد جملته:

«أنا جائع».

طلبت منه أن يسامحها على شرود فكرها، فتعب الليل يفاقم من حالتها. وأضافت:

«هل تُريد أن أعِدّ لك برغلا؟».

أجاب السيد:

«أفضّل تفاحة».

تناولت كولبرون طبق الفواكه وتوجهت للبحث عن قبو (البيت) التفاح. ومدت له تفاحة.

قضم السيد التفاحة.

وبينما كان السيد يأكل تفاحته، لمح كولبرون وهي تمسح، خلسة، دموعها.. مسح هو الأخر شفتيه. وقال:

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

«أيتها الفتاة، أنت تبكين».

أجابته بأنه يقول الحقيقة. وأضافت:

«أحب جُون الخياط. وإذا كنت لا أزال أعمل في ساعة متأخرة من الليل، فلأني وعدتُ جُون أن أصنع له حزاماً مزخرفاً. لكن بعد خمسة أسابيع من الكد، ليلاً ونهاراً، لم أعرف فعل شيء ذي قيمة. انظُرْ، بالأحرى!».

ذهبت لإحضار الحزام المُطرّز وأرَتْه كل المحاولات الفاشلة التي قامت بها بغرض صناعة حِزام يشبهه.

ابتسم السيد وقال:

«انتظري. إما أن العالم صغيرٌ وإما أنّ الصدفة شيءٌ غريب. يبدو لي أنّ عندي في الكيس الذي يتدلى على خاصرة فرسي حزاماً يشبهه بشكل فريد».

حين عاد السيد، وحين قارنا الحزامين، اكتشفا أنهما متماثلين. ليس ثمة ولا خيط واحد يختلف عن مثيله في اللون. ولا رسماً واحداً يختلف عن نظيره.

أجهشت كولبرون بالبكاء، فجأة. وقالت:

«أبكي لأني فقيرة. وهذا الحزام يساوي، على الأقل، قيمة

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

فرس، أو سبع بقرات. أو مُشبّك ذهبي. ولن أستطيع أبداً أن أشتريه منك، ولن أستطيع أبدا التزوج بجُون».

طلب منها السيد أن تكفكف دموعها على الفور. اقترب منها وداعَب شعرَها. قال لها:

«سأمنحك هذا الحزام، مقابل لا شيء، إن شئتِ».

انتفضت كولبرون، تخلصت من ذراعي السيد، وقالت:

– مقابل ماذا؟

قال السيد:

– مقابل وَعْد بسيط.

سألت كولبرون:

– ما هو؟

أجاب السيد:

– ألاّ تنسَي اسمي.

سألت كولبرون:

– وما اسمك؟

أجاب السيد:

– أنا أدعى هيذيبيك دي هيل Heidebic de Hel».

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

لم تستطع كولبرون منع نفسها من الضحك. صفقت بيديها. وقالت:

«كيف يمكن أن أنسى اسما بهذه البساطة: هيديبيك؟ أعتقد، بالأحرى، أنك تسْخر مني».

قال السيد:

«أنا لا أسْخرُ منك، يا كولبرون. لكن، لا تضحكي عالياً. لأنك إن نسيتِ اسمي، بعد سنة من اليوم، وفي ذات اليوم وذات الساعة، وسط الليل، حينها ستكونين لي».

ضحكت كولبرون أكثر من قبل.

قالت:

«من السهل تذكر اسم!».

اقتربت وتناولت الحزام من السيد. نهض السيد من كرسيه. وعاودت كولبرون الكلام:

«لكني لا أريد أن أخدعك، سيدي. فأنا لا أحب سوى جون الخياط. منحته وعدي وعليّ أن أتزوجه فور منحه الحزام».

قال السيد:

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

«لقد حدثتني من قبل عن الوعد الذي التزمت به تجاه خياطك. لكني لا تنسي الالتزام الذي اتفقت معي حوله. لا تنسي اسمي. وإذا ما خانتك ذاكرتُكِ، فبئس الأمر بالنسبة لخياطك، وستكونين مرغمة على مصاحبتي».

قالت كولبرون:

«أنت من يكرر الأشياء. لست غبية. إن تذكر اسم هيدييك دي هيل ليست مهمة أكثر صعوبة من تذكر كولبرون، ولا أتذكر أنه كانت لديّ أبداً كبير صعوبة في تذكر اسمي. لقد كنت طيباً، يا سيدي. ولكن في سنة، أخشى ألا تحضن بين ذراعيك سوى الريح والندم».

قال السيد، وهو يظهر ابتسامة غريبة:

«ربما سيكون الأمر كما ذكرت. ولكني لو كنتُ مكانَكِ سأتمتع كثيراً بجسد جُونْ، وأحضنه بقوة بين ذراعيّ!».

وهو يتلفظ بهذه الكلمات وضع رداءه الأبيض. اجتاز عتبة الباب، توجه إلى السياج، امتطى صهوة فرسه، وانطلق في الليل. وعلى الفور غاب السيد وفرسه في الضباب الأبيض الذي كان يغطي النهر.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

استيقظ جُون، فجأة. ألقى نظرة على النافذة، كان الفجر بالكاد يعلن عن انبثاقه وكان ثمة طرق على الباب. قفز من سريره. قال في نفسه:

«أتمنى أن تكون كولبرون. أعتقد أنها انتهت من الحزام».

توجه لفتح الباب. انحنيا على الطاولة وهما يتأملان الحزامين. قارَنا بينهما. ضحكا. قال جون لكولبرون:

«إن لديك يدا جنيّة».

احمر وجه كولبرون، وأظهرت بعض الزهو.

كان الحزامان المعروضان أمامهما في غاية الشبه، لدرجة أن لا أحد منهما اكتشف الحزام الذي عهد به جون لكولبرون.

قالت كولبرون، فجأة:

«إذنْ، من الغد سيكون بمستطاعنا أن نُعلِن عن زواجنا».

رد جون بأن لا مجال للانتظار إلى الغد، وقال إنهما سيعلنان عن الزواج في نفس اليوم. وأضاف:

«أنا فخور بالتزوج بعاملة استطاعت أن تحقق ما عجزتُ عن تحقيقه».

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

أخذ بيديها. جذب جسدها إليه. وتعانقا.

تزوجا. مُؤخّر الصَّدَاق الذي قدمه جون: منزل خشبي على ضفة ديفيس Dives، عشرة أعراض قماش، مطرقة، سيفان، أما مَهْر كولبرون فكان: طاولة خشبية، قدّاحة صُوْفان، شمعة، دولاب ومغزل وتفاحة وطوقاً. وأمام الجميع منح جون لكولبرون حزامه المزركش وربطه. وأمام الجميع منحت كولبرون لجون حزامها المزركش وكان هو من ربط بنفسه حزامه على بطنه. معاً، وهو مُزنَّرَان بحزاميهما المزخرفين، شربا طاسة من عشب المرعى وطاسة من شراب التفاح أمام بلدة ديفيس كلها، وهكذا تم زواج جون وكولبرون بموافقة الجميع.

ترأس الحدّاد مراسيم الزواج، محاطاً بالبحار والفرّاء والصياد والنجّارين والخبّازين.

ركبت كولبرون على ظهر بقرة واتجهت إلى منزل جون. سلّم جون المفاتيح لزوجته.

قلّبت بالرفش رماد الموقد. استحمت ورفعت شعرها وربطته على قفا عنقها بالشريط، تناولت المطرقة بيدها اليمنى، استلقت على السرير، فتحت ساقيها وتلقته. كانا سعيديْن، معاً. مرت

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

تسع أشهر.

في نهاية الشهر التاسع، وبينما كانت كولبرون منهمكة في تطريز شبح جواد سباق أسود على طوقها، تفكّك وجهها، فجأة.

تذكرت كولبرون السيّد الذي قدم لرؤيتها ذات مساء كانت تنوح فيه، بينما كان بيتها مضاء طول الليل، عشية اليوم الذي تزوجت فيه جُون. تذكرت الوعد الذي التزمت به. كانت على وشك أن تتذكر اسم السيد حين هرب هذا الاسم، فجأة، من عقلها.

كان الاسم على طرف لسانها. ولكنها لم تنجح في العثور عليه. كان الاسم يطفو من حول شفتيها، كان قريباً جداً منها، كانت تحس به، ولكنها لم تستطع أن تلتقطه، أن تضعه في فمها، وفي التلفظ به.

كانت في غاية الاضطراب. نهضت.

عبثاً بحثت عنه في ذاكرتها، إذ لم تعد تتذكر اسم السيّد الغامض. امتلأت عيناها برعب شديد.

كانت تدور في الغرفة.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

عبثاً حاولت تقليد الحركات التي قامت بها في ذلك المساء، عبثاً ذهبت للبحث عن التفاحات في قبو التفاح بطبق الفواكه المصنوع من الخزف المزركش، عبثاً وضعت رِجْليها في خطاه، وعبثاً فكرت في الرداء الأبيض وفي الحصان الأبيض وفي حمالة السيف الذهبية، وعبثاً ردّدت بصوت عال الجمل التي تلفظت بها في تلك الليلة، كانت تتذكر حركات، التفاحة التي كانت تتقطع تحت أسنان السيد، صُدْرته، كلماته، جُمَلَه، ولكنها لم تكن تتذكر الاسم.

فَقَدَتْ طعمَ النوم.

اجتاح الحزنُ غرفة النوم. كانت خائفة طول الليل، وكانت ترفض دعوات زوجها، تنقلب في سريرها بحثاً عن الاسم الذي أضاعَتْه.

أُصيب زوجُها بالذهول.

الحزنُ الذي اجتاح غرفة النوم وصل إلى المطبخ. كانت كولبرون تحرق أطباقها. وحين لم تكن الأطباق محترقة كانت تنسى إعداد الطاولة. لم تعد تُحرِّك رماد المَوْقد وتوسخت المدفأة

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

وتَصاعَد منها البخارُ. بل وحدث لها أن نسيت إعـداد الطعـام، بسبب انشغالها في البحث المعذور عن الاسم الذي أضاعَتْهُ.

استشاط زوجُها غضباً.

هزلت. وأضحت تشبه، من جديد، شوكة. والحـزن الـذي اجتاح غرفة النوم والمطبخ وصل إلى بستان الفواكه. لم تعد تهـتم بالسَّلَطَات التي كانت تنمو. لم تعـد تقتلـع الجَـزَر مـن الأرض. وأصبحت الأرانبُ تنتظر أوراق الخُضار بقلق. وبمـا أن البسـتان لم يعد ينتج التفاح ولا الإجّاص، فقد هجرتْـهُ العصـافير. الكـل أصبح صامتاً.

بينما أصبحت كولبرون تتيه تحت أغصـان الأشـجار، دون أن ترفع رأسها، محدودبة، دون أن ترى شـيئاً، وهـي تبحـث عن الاسم الذي أضاعَتْه.

صفعها زوجها، فجأة.

أدارت كولبرون رأسـها نحـو جـون، وهـي باكيـة. أمسـك بيديها وسـألها بمَظْهَـر حـزين عـن سـبب مثـل هـذا التغيّـر في تصرّفها. لماذا تَسَاقَط عليهما الحزنُ؟

لمـاذا لم تعُـد تأكـلُ؟ ولمـاذا تـدفع ذراعيْـه حـين يكونـان

Twitter: @ketab_n

www.kutub-pdf.net

مضطجعين، الواحد بجانب الآخر، ولماذا تبكي طول الليل، بأعلى صوتها؟ ولماذا أصبح بستان الفواكه مهجوراً؟ ولماذا أصبح الموقد بارداً؟ ولماذا تتيه، مطأطأة الرأس في البيت، مثل امرأة مجنونة في الحديقة، تحرّك شفتيها كما لو أنها تبحث عن شيء ما، ولم تقرر أن تتلفظ به؟

لم تستطع كولبرون الإجابة. أحست بألم في وجنتها بسبب قوة الصفعة.

اشتد نواحها. ألقت برأسها بين ذراعي زوجها وهي تشهق. لن تتوقف عن الشهيق وعن البكاء. داعب جُونْ شعر زوجته. قال لها:

«تنوحين كثيراً. أناديك باسم نهر ديفيس بسبب كثرة بكائك. أناديك مثل النهر الذي يخترق قريتنا، والذي تصنع مياهُهُ فواكهَنا، وحيث ترتوي خيولنا، وتشرب أبقارنا، حيث نغسل ثيابنا، وتصنع حساءنا، وتنظف وجوهنا وأيدينا وحيث تفتح الأسماك، طول السنة، أفواهها كي لا ينتهي بها الأمر كما تفعلين طول النهار».

فجأة، تراجعت أربع خطوات إلى الخلف. كان وجه

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

كولبرون لا يزال شاحباً. توقف دموعها. فكت حزامها ومدته إليه.

وقفت أمامه، وعلى وجهها تصميم. وقالت:

«لقد خدعتُكَ. أنا أحِسّ بالعار. هذا الحزام ليس هو حزامي. لم أستطع تطريزه. استخدمتُ حيلة. ذات ليلة، وفي عز الليل، وبينما كنت أنتحب بسبب عدم قدرتي على فعل ذلك، وكنت قد تركتُ شمعتي مضاءة. طرق رجلٌ على بابي. كان قد ربط الفرس إلى الحاجز. وكان يلبس رداء أبيض كبيراً. منحني هذا الحزام وأنا منحته الوعد بأن أكون له لو نسيتُ اسمه، بعد أن يكون قد مرّ حوْلٌ على ذلك. مرت الآن أكثر من تسعة أشهر، ما الذي يعنيه اسمٌ ما؟ ما هو الشيء الأكثر سهولة على الذاكرة من اسم ما؟ كلمة حزام، كيف يمكن نسيانها؟ كلمة الحب، كيف لا يمكن تذكرها؟ اسمك، سأموت وأحتفظ به بين شفتيّ. لكن اسمه هرب مني».

اقترب الخياط، التقط الحزام، واحتضن زوجته.

قال لها:

«لا تبكي. أن أحبك. إما أن أعثر على هذا الاسم، وإما

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

سأعثر على هذا السيد».

في اليوم التالي، وقبل الفجر، نهض جون من نومه. ارتدى ملابسه، وسأل كولبرون عن الطريق التي سلكها السيد حين غادرها. قالت له:

«من هنا».

فتبعها. تتبع مجرى النهر. دخل الغابة. تحدث إلى حطّابين. فتش الغابة الصغيرة، وتسلق الصخور.

بعد يومين من المسير، جلس على جِذْر، لأن التعب نال منه. وطفق يبكي. كنا في نصف الشهر العاشر. فجأة رأى أمامه أرنباً صغيراً وهو يُحرّك أنفه. قال له الأرنب الصغير:

«لماذا تبكي؟

– أبحث عن السيّد ذي الرّداء الأبيض؟».

قال الأرنب الصغير:

«اتبعني!».

نهض جون وتبعه.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

قاده الأرنب الصغير إلى جُحره المخفي تحت الطحالب.

جثم جون على ركبتيه. وتمشى على أربع. دخل. نزل تحت الأرض. وصل إلى العالم الآخر. رأى قصراً أبيض كبيراً يلمع في الليل. كان الجسر المتحرّك في وضعية اشتغال. اجتاز الجسر المتحرك.

في الساحة كان ثمة سائسون وهم يحكّون الخيول.

وفي وسط الساحة المربّعة خدمٌ يُجلّون عربة ذهبية كبيرة. وآخرون ينظفون أبوابها. قال لهم باحترام:

«هل لي أن أعرف سبب صقل هذه العربة؟

قال الخدَمُ:

– سيّدنا يستعدّ للصعود على الأرض بحثاً عن مُطرِّزَة يريد أن يتخذها زوجة له.

قال جون:

– إن العربة التي أنتم بصدد صقلها هي بحقّ رائعة. قولوا لي، بحق، كيف أمكن أن السيد الذي يمتلك عربة رائعة لا يمتلك اسماً رائعاً؟

قالوا:

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

- هذا صحيح. إنها عربة فيديبيك دي هيل.

قال جون، مرتعشاً:

«قولوا لهيديبيك دي هيل إن جون الخياط يُحيّيك».

حيّا الخدم والسائسين الذين يُحيطون بعربة الأحصنة، واحداً واحداً. فردّ عليه الخدم والسائسون السلام.

غادر القصر. صعد من هيل Hel. يجدر القول إن هيل هو اسم الجحيم لدى سكان النورماندي القدماء.

يجب القول إن الجحيم هو اسم العالم بالنسبة لسكان العالم.

خرج من الجُحر. عاد إلى الهواء الطلق، وعدا في اتجاه بلدة ديفيس. كان يكرّر اسم هيديبيك دي هيل. احتفظ به في رأسه وهو يكرره. انكبّ من أجل تكراره.

حين وصل إلى النهر رأى انعكاس منزله على سطح الماء. توقّف. اكتشف جمال هذه الصورة التي تطفو على نهر ديفيس. وضع يده على الحاجز. تأمل انعكاس منزله الذي يتلألأ على سطح الماء. فجأة، أحس بالجوع.

وهو يعتدل في وقوفه، أراد أن يستعرض الاسم: كان

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

موجوداً، بالقرب منه، كان على طرف لسانه. كان يطوف من حول فمه مثل الضباب. أحياناً يقترب، أحياناً أخرى يبتعد من جانب شفتيه. لكن حين توجّب أن يقوله لزوجته، استعصى عليه.

استراح يومين. كانت كولبرون ترتجف، في الليل، بين ذراعي جُون، بسبب خوفها من الانفصال عنه. وصل الشهر الحادي عشر. سافر، متبعاً النهر، دخل في الغابة. وعلى الرغم من بحثه تحت الطحالب، لم يعثر على الجُحْر. سأل الحيوانات عن عالم ما تحت الأرض، فظلت صامتة أو كانت تهرب. تقدّمَ عميقاً في الغابة.

فجأة وصل إلى أقصى الغابة أمام المحيط.

كان منهكاً. جلس على طرف صخرة متقدمة في الماء والتي كانت الأمواج تضربها. بكى.

ظهرت سمكة موسى على سطح البحر. قالت له:

«لماذا تبكي؟».

نظر جون إلى سمكة موسى في المويجات البيضاء، وقال

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

لها:

«أبحث عن السيد ذي الرداء الأبيض وحمالة السيف الذهبية».

قالت له سمكة موسى وهي تغطس في البحر:

«اتبعني».

غطس في المحيط. مسّ قرارة البحر. خلف جدار الطحالب، رأى قصراً أبيضاً كبيراً، يتلألأ في الظلام. كان الجسر المتحرك موضوعاً. اجتازه.

في ساحة القصر، كان ثمة جنودٌ منهمكين بإسراج أحصنة سوداء.

وفي وسط ساحة القصر المربعة، كان خدم منهمكين في وضع مخدات حمراء في عربة الأحصنة. وكان طباخون يحملون أباريق وأطباقاً بأغطية من فضة تنبعث منها روائح طيبة جداً ويرتبونها بعناية في أقسام كانت توجد داخل أبواب العربة.

اقترب جون من الطباخين وقال لهم، بأدب:

«هل لي أن أسألكم عن سبب وضعهم هذه الأطعمة في أبواب العربة؟».

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

– سيّدنا يتهيّأ للبحث عن مُطرّزة شابة توجد على الأرض، ويحرص على أن يقدّم لها وجبة طعام خفيفة أثناء السفر.

قال جون:

– حقيقة، هذه الروائح خارقة للعادة. قولوا لي كيف حدث أنّ منْ أمر بإعداد هذا الطعام الخارق للعادة لا يحمل اسماً خارقاً للعادة؟

قالوا:

– هذا صحيح. إنه الطعام الذي يأكله هيديبيك كل يوم.

لحس جون شفتيه.

«قولوا لهيديبيك إن جون الخياط يحييك».

حيّا الطباخين الذين كانوا يحيطون بعربة الخيول، واحداً واحداً. ردّ عليه الطباخون والخدَمُ التحية، كل واحد بدوره.

صعد من القصر إلى البحر. مزّق مساحة البحر. نفض جسده على الضفة. اجتاز الشاطئ. دخل الغابة. كان يعدو ويردد اسم هيديبيك دي هيل. كان يحتفظ به جيداً في رأسه وهو يُردّده. دأب على تكراره.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

اجتاز الغابة. خرج من الغابة وتوغل في الوادي. تتبع النهر. عبر الجسر. وعلى الجسر رأى زوجته تعدو في اتجاهه وهي تناديه. كان نهاراً هادئاً جداً. كان الشفق. زوجته تنادي باسمه. وخلف زوجته كانت الشمس تتجه للغروب. كما رأى ظلها الضخم وهو يعدو أمامها، والذي كان النجم الغارب يلقيه على بلاط الجسر الخشبي. كان جائعاً، وكان مرهقاً. تجمد أمام هذه الظل الضخم القادم في اتجاهه.

حين أخذ زوجته بين ذراعيه وسألتْهُ إن كان قد عثر على الاسم وأراد أن يعهد لها به، لم يعثر عليه على الفور: ليس لأن الاسم بعيدٌ. كان هنا، بالقرب منه، كان على طرف لسانه. كان يطفو من حول فمه، مثل ظّل. يقترب أحياناً، ويبتعد أحياناً أخرى من شفتيه. لكن حين وجب قوله لزوجته غاب عنه.

استراح يومين. لم تعد كولبرون تنام الليل. كانت تتيه في البيت. وكانت تبحث عن الاسم. وفي غاية الرعب. جاء الشهر الثاني عشر. غادر المنزل. تتبع النهر. ولج الغابة ولم يعثر على

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

الأرنب الصغير. خرج من الغابة وجاء إلى الضفة. تقدم إلى رأس الصخرة. لم تتحدث إليه أي سمكة. رأى في البعيد شبه الجزيرة والجبل.

التحق بالجبل. صعده أياماً وأياماً.

حين وصل إلى نصف مستواه، سفح الجبل كان شديد الانحدار، بحيث لم يعُدْ أن يتسلّق أكثر. نظر جون إلى أصابعه: كانت دامية. كيف يمكن، من الآن فصاعداً، لأصابع الخياط الرقيقة جداً أن تخيط؟ هل ستستطيع حتى تمرير الخيط من سُمّ الإبرة؟ كانت كلها مُسطّحَة من الصخور وكانت تسيل دما. بكى.

نزل طائر السقاوة بالقرب منه.

طوى الطائر جناحيه الواسعين، ببطء، وقال له:

«لماذا تبكي، وأنت ملتصقٌ بنصف الصخرة؟».

قال له جُون:

«أبحث عن سيّد له رداء أبيض وحمالة سيف ذهبية وحصان أسود كبير. ولكنني لم أعد أستطيع أن أصعد أكثر».

قال له طائر السقاوة:

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

«اتبعني.

قال الخيّاط:

- لا أعرف الطيران.

قال له الطائر:

- لا يتعلق الأمر بالطيران. يتعلق الأمر بعدم السقوط!

قال جُون:

- لن يُفيدَ الأمر في شيء. على كل حال لن أتذكر هذا الاسم الذي تريده زوجتي. سأنزل.

رد الطائر:

- اتبعني. المكان ليس بعيداً، سأُريكَ ثغرة الجبل».

فعلاً، لم يكن المكان بعيداً. حام طائر السقاوة. تبعه جون وهو يتعلق بالصخور. بسط الطائر جناحه وأراه ثغرة الجبل.

نزل في الجبل. دام الأمر أياماً. وفي قعر الغور، لمح قصراً أبيض كبيراً يتلألأ بعيداً في العمق السحيق. اندفع في اتجاهه. سقط على ركبتيه. اجتاز الجسر المتحرك الذي كان في حالة اشتغال، وهو يحك ركبتيه.

في ساحة القصر كان الفرسان منهمكين في امتطاء صهوات

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

خيولهم.

وسط ساحة القصر المربعة، كان أربعة جنود يصعدون على سطح عربة الجياد الذهبية ويشهرون أسلحتهم.

اقترب جُون من الجنود وقال لهم، بأدب:

«هل لي أن أسألكم عن سبب امتطائكم لهذه العربة الفارغة وأنتم تلمعون أسلحتكم؟».

سيصل سيّدنا بين هنيهة وأخرى للانطلاق بحثاً عن مطرزة شابة على الأرض، ويتوجب علينا حمايته.

قال جون:

– حقاً، إن هذه الأسلحة لها وميض لا يُقارَن. قولوا لي، حقيقة، كيف أمكن لمن يمتلك هذه الأسلحة اللامعة أن لا يمتلك اسماً جذّاباً؟

قالوا:

– الأمر صحيح. إنها جميعاً في حوزة هيديبيك دي هيل. ولكن، الآن، تَنَحَّ عن الطريق لأننا نتأهب للرحيل».

اندفع جون يجري وهو يصيح خلفه:

«قولوا لهيديبيك دي هيل إن جون الخياط يحييك».

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

كان يجري. يقفز فوق الصخور مثل حيوان شامْواه. صعد من الجحيم. وطفق يعدو. وهو يكرر اسم هيديبيك دي هيل. حفظه جيّداً في رأسه وهو يكرره. جدّ في تكراره.

في ديفيس، كانت كولبرون تنتظر جون. وكانت تبحث عن الاسم المنسي. كانت ترتجف. لم تتبقَّ سوى ثلاثة أيام عن اليوم المعلوم وجُون لم يعُدْ بعدُ. كانت تبحث في قرارة نفسها ولكنها لم تكن تجد الاسم الذي تبحث عنه. كانت تنضح دماً، بسبب خشيتها من اقتلاعها من جُون. صعدت فوق كرسي. التقطت أحد سيْفَيْ جون اللذان كانا معلقين بالعارضة. شحذت السيف من أجل أن تموت. لم تكن تريد أن يتخذها السيد زوجة له. لم تكن تريد سوى الانتماء لجون.

كان يُردّد الاسم. كان الزمن التاسع والعشرون من الشهر الثاني عشر. نزل جون من الجبل وهو يقفز من صخرة إلى أخرى. وصل إلشاطئ الرّملي. كان يعدو. تتبع الشاطئ إلى أن

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

وصل إلى الغابة. حل اليوم الثلاثون من الشهر الثاني عشر. كان يعدو. ولج الغابة واجتازها. وصل اليوم الحادي والثلاثون من الشهر الثاني عشر. كان الليل قد أرخى سدوله. الساعة الحادية عشر ليلاً. كان يعدو. اجتاز الجسر. لم يكن ثمة انعكاسٌ يمكنه أن يظهر على سطح ماء النهر، ولم تكن ثمة ظلالٌ حتى تذوب على الفور في الليل.

دفع الباب ونظر إلى زوجته التي كانت ترْشَحُ دماً من حالة الرعب. كانت ماسكة بسيف. وكانت تدير له ظهرها. كانت جالسة أمام الموقد. وحدّ السيف على الأرض.

صرخ:

«هيديبيك دي هيل، هذا هو اسم السيد!».

انهار على الأرض. استدارت كولبرون. حين نهضت كولبرون سُمِعت أول دقة للساعة تعلن منتصف الليل، وهبت الريح فجأة، وانفتحت الباب، وظهر السيد دي هيل على عتبة الباب. كان مرتدياً بدلة رائعة تحت ردائه الأبيض الطويل. حمالة سيفه الذهبية تحيط بخصره. خلفه كانت تُرى عربة الجياد الذهبية وهي تلمع في قعر الليل.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

تقدم السيد، ضاحكاً. أراد أن يمسك بيد كولبرون. سحبت يدها، مالت إلى أمام وقالت:

«لماذا تريد أن تمسك بيدي، يا سيدي؟

– هل تتذكرين اسمي، يا كولبرون؟

– بالطبع أتذكر الاسم الذي تحمله. هل تعرف كثيراً من النساء اللواتي ينسين أسماء من أحسن إليهن؟

– ما هو اسمي؟ سأل السيد.

– انتظر فقط أن تحمله فمي. انتظر فقط أن تتلفظ به شفتاي.

– ما هو اسمي؟ صرخ السيد.

قالت كولبرون، بهدوء، وهي تبتسم:

«هيديبيك دي هيل هو اسمك، يا سيدي».

حينها أطلق السيد صرخة. كل شيء أصبح أسوداً. كل شيء انطفأ مثل هذه الشمعة التي أطفئها وأنا أتحدث.

كل الذين كانوا يتحدثون أطفؤوا الضوء.

سُمِع فقط صوتُ العَدْو في الليل.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

حين استعادت كولبرون جرأة فتح عينيها، من جديد، كانت عربة الجياد قد اختفت.

كانت كولبرون منحنية على جسد جون المغمى عليه وقبّلت شفتيه.

كان الليل شديد السواد، كما استمر عليه في أيامنا، هذه، مما اضطرت معه كولبرون إلى حك حجرة القدّاحة من أجل إشعال شمعة بالقرب من وجه الرجل الذي كانت تضع فوقه شعرَها ورأسها، والذي كانت تمد إليه شفتيها، والذي كان يتنفس بهدوء.

كان جون نحيلاً. وكانت معدته تُقرقر من الجوع. وضعت كولبرون رُكبة على الأرض، والشمعة في يدها.

ندعُوك يا ربّ، اجعل أن هذه الشمعة، المُكرّسَة لذكرى اسمك، تحترق من دون أن تنطفئ، من أجل تبديد ظلام هذه الليلة.

استيقظ جون. كان هزيلاً. كان وجهه شاحباً. أخذت كولبرون بيده وجذبَتْها كي يستوي. كانا جاثميْن، معاً، على

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

ركبتيهما أمام الشمعة المُضاءَة. ورتّلا هذه الصلاة:

ندعُوك يا ربّ، اجعل أن هـذه الشـمعة، المُكرَّسَـة لـذكرى اسمك، تحترق من دون أن تنطفئ، من أجل تبديـد ظـلام هـذه الليلة.

ارتجفا، خلال دقيقة، ثم أصبحا سعيدَيْن طـول حياتهمـا. تَضاعَف عددُ أبنائهما وأبناء أبنائهمـا، وأخـيراً، ماتـا، تـاركَيْن مائـدة؛ شمعـة؛ خيطـاً؛ دولاب مغـزل لسـحب خـيط صـوف الحيوانات؛ مغزلاً من أجل لفه؛ وصَوْتي، أنا، من أجـل قـصّ الحكاية.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

رسالة صغيرة حول ميدوزا

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

غادَرْنا منطقة لور وضفة لافْر. كنتُ في سن الثانيـة. انتقلنـا إلى نورماندي، في منطقة الهافر، حيث بدأت عملية إعادة بنـاء الميناء والمدينة. كانت غرفنا تطل على أنقاض لا نهاية لها، كنا نرى في نهايتها البحر.

كانت أمّي تجلس في أقصى مائدة الطعام، ظهرها إلى بـاب المطبخ. فجأة، تسكتنا أمّي. يرتفع وجهُها. يبتعد نظرهـا عنّـا، ويَضيعُ في شيء غير محدود. تتقدم يدُها فوقنا في صمت. تبحث ماما عن اسم. الكل كان يتوقف، فجأة. لا شيء كان له وجود، فجأة.

كانت مضطربة وقصيّة، وكانت تحاول، والعين مثبتة علـى لا شيء، وتقـدخان شـرراً، أن تحضـر إلى ذهنهـا الكلمـة الـتي

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

كانت على طرف لسانها. كنّا نحن بأنفسنا، على ضفة شفتيْها. كنا بالمرصاد، مثلها. كنا نساعدها بصمتنا ـ بكل قوة صمتنا. كنا نعرف أنها ستسترجع الكلمة الضائعة، الكلمة التي تسبب يأسها. كانت تنادي من بعيد، مهلوسة، طاقتها المترنحة في الهواء.

تهلّلَ وجهُها. عثرتْ عليه: تتلفظ به كما يُتلفّظُ بالروائع. كانت إحدى الروائع. كل كلمة تُستعاد هي إحدى الروائع.

مثل تتحول الكلمة التي تسقط تحت نظر ميدوزا إلى حجرة، فإن الحجرة التي تسقط تحت نظر الكلمة التي تنقصُها تبدو مثل تمثال.

مِثْل أورفي Orphee الذي يستدير، فجأة، كي يبحث، ويتأكد من أن حبه موجود هنا، وأنه بصدد الصعود إلى جناحه في الجحيم، والذي يحوّل إلى حجر ولادة ثانية لانفعال تحت شكل كاذب لذكرى ما، فالتثبيتُ، حيثُ يغطس البحث عن الاسم، يُجمّد العودة التي ينكبّ عليها. إنه يُعيق ما يصبو إليه.

هذه التجربة للكلمة التي نعرفها والتي حُرِمْنا منها هي

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

التجربة التي يُمارِس فيها نسيانُ الإنسانية الموجودة في داخلنا، الاعتداء. وحيث الطابع الفجائي لأفكارنا، حيث الطبيعة الهشة لهويّتنا، حيث المادّة اللاإرادية لذاكرتنا وشكلها اللساني، حصرياً، تتلامس مع الإصبع. هي التجربة التي تختلط فيها حدودُنا وموتنا، لأول مرة. هو الخطر الخاص باللغة البشرية. إنه الخطر أمام ما هو مُنجَزٌ. الاسم على طرف اللسان يُذكّرنا بأن اللغة ليست فِعْلاً مُنعكِساً في دواخلنا، وبأننا لسنا حيواناتٍ تتحدث كما ترى.

إن إضاعة كلمة ما، معناه أن اللغة ليست ذواتنا. وأن اللغة في دواخلنا شيء مكتسب، وهذا يعني أننا نستطيع معرفة تخلّيها. أن نكون مواضيع لتخلّيها، فهذا يعني أن كل مكونات اللغة يمكن أن يتقهقر على طرف اللسان. هذا يعني أننا نستطيع الالتحاق بالإسطبل أو بالغابة أو ما قبل الطفولة أو الموت.

حُقولُ الحبوب، إذا ما نُظِر إليها من الطائرة، تسمح أحياناً بملامسة ظهور ظلّ نديّ لأطلال ماضية لا أحد يكشف

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

عنها لأن ما من ملاّك يمكن أن تغويه عمليات الحفر في أراضٍ واسعة وغنية. هل هي فللات رومانية هل هي معابد نيوليتية قديمة؟ هل هي معسكرات سلتية أم أنها مصنع قديم من القرن التاسع عشر والذي تمت إزالته، مؤخراً؟ إنها تمثل هذه الظلال الموجودة في داخلنا والتي تنبثق بارزة، من دون واقع، ومن دون قدرة على إيقاظها في المسافة التي تمنحها خيانة (ضعف) كلمة. إنه ظلّ يستعجل والذي يُتخطَّف من جديد، ودونما انقطاع، في الهوّة داخل الجسم. في هوة الحنجرة. أو أيضا بخار يهرب إلى خارج الذات، كتلة خفيفة لكلمة تُركت تتسرب في الهواء المحيط والذي تفتّتت فيه.

فجأة أُصبح صندوق ذخائر هُرِّبَت ذخيرتُه، التي يبذو أنها متفقة على العودة، والتي تهرب.

أمتلك ذاكرة عن الأشياء التي لا أتذكرها.

أمّاه، إن كان ثمة ذكرى تربطها بها، مثل ارتباط اليد بالذراع، فهي هذا المشهد.

إنه المشهد الذي يعيد إنشاءها كاملة. إنها أنا كما هي

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

أيضاً، قليلا، اللغة في فمي. إنها هذا النظر الضائع حيث لا أهمية لنا.

أضعت اللغة مرتين. لزمتُ الصمت في شهري الثامن عشر. كنت أتناول الطعام في الظلام على طاولة زرقاء بشبكة مربعات، والتي أتذكرها أكثر مما أتذكر نفسي. كانت تطوى. كانت طاولة صمتي.

لهذا السبب لم أستطع أبداً أن أكتب على طاولة أو على مكتب، ولم أمتلكه أبداً.

لم يَبْدُ لي أبداً أن العنف عرف مفهوماً مثل الادخار. كنت هذا الطفل الذي يراهن، طول حياته، على مجهود أمّي من أجل العثور على اسم كانت تمتلك ذاكرته وهي محرومةٌ منها. كنت أتماهى بشكل كامل مع حركة تفكير أمي وهي تجوب، في شقاء كبير، القنوات والطرق حيث ضلّت كلمة طريقَها. لاحقا، تماهيتُ مع زوج أمّي. في هذه الحالة لم أكن أفعل سوى تبرير تماهٍ مبرمج قبل وصولي إلى الهواء بواسطة أمي، لأن الاسمين الصغيرين المرتبطين باسمي الشخصي كانا اسْميْه

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

الشخصيين ـ شارل، إدموند. حين كنتُ طفلاً، كان يبدو لي أنه يتوجب الحصول على المعرفة الفيلولوجية والنحوية والرومانية لجدي من أجل أن أصيرَ الشاعرَ الذي أراد أن يكونه والد الجدّ. كلاهما درّس في جامعة السوربون. وكلاهما جمع الكتب. لهذا السبب حاولتُ، عبثاً، أن أعود إلى الماضي. وهو ما ألقى بها على ضفاف روما، وهو ما ألقى بي في أطلال أور، وألقى بها، أخيراً، في المغارات القديمة جداً ذات الجدران الصامتة والمليئة بالنقوش الأثرية. حيواتنا مُعرَّضَة لاستبدادات غريبة، المتمثلة في الأخطاء. ومن المثير للدهشة الإشارة إلى أن كتباً نشرتُها عرفت النجاح من خلال نبش أطياف قديمة ميتة مجهولة تحمل في داخلها مستقبلاً أكثر ما تحمله من أحياء. الكتُبُ هي أطياف الحقول، هذه. كنت هذا الطفل المدفوع تحت شكل هذا التبادل الصامت مع اللغة التي تنقصه. كنتُ هذا الترصُّد الصامت. أصبحت هذا الصمت، هذا الطفل «المحبوس» في الكلمة الغائبة تحت شكل الصمت. انهيار الطفل حدث بعد أن غادرنا منطقة لوهافر، لأنه غادرَتْني شابة ألمانية كانت تعتني بي بينما كانت أمي طريحة الفراش ومريضة

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

وكنت أناديها مُوتّي Mutti. أُصبتُ بالخرس. نجحت في الاعتزال في هذا الاسم الذي أعزّ من اسم أمّي، والذي كان، لسُوء الحظ، إيعازا. لم يكن اسْماً على طرف لساني ولكن كان اسماً على طرف جسدي، وكان صمت جسدي هو الوحيد القادر على جعل الحرارة موجودةً، بالفعل. لا أكتبُ عن رغبة، عن عادة، عن إرادة، عن مهنة. أنا أكتب كي أبقى على قيد الحياة. أكتبُ لأنها الوسيلة الوحيدة للكلام من خلال الصمت. الكلام بخرس، الكلام ببكم، رصد الكلمة الناقصة، القراءة، الكتابة، هو نفس الشيء. لأن نزع المِلكيّة يصنع الملاذ. لأنها كانت الوسيلة الوحيدة للبقاء محتمياً في هذا الاسم من دون الاعتزال، بشكل كامل، عن اللغة، مثل المجانين، مثل الحجارة، التي هي شقية مثل نفسها، مثل الحيوانات، مثل الموتى.

وجدت نفسي مضطراً، من جديد، لالتزام الصمت حين بلغت سن السادسة عشر. لزمتُ الصمت لماذا. هذا النص الذي عنونتُهُ الاسم على طرف اللسان هو سرّي أنا.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

الجزء الأول

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

العجزُ الذي أريد أن أشير إليه هو تجربة يتقاسمها الجميع. ترتبط خصوصيته بكونه ليس مُبْهَماً، أبداً، على الرغم من كونه عصيّاً عن الوصف، وعلى الرغم من كونه التجربة المحسوسة عن ما هو عصي عن الوصف فينا، وعلى الرغم من كونه عقبة أمام التعبير عن اللغة والموت باعتبارهما مصيرَيْن. تَصَادَفَ أن الصعوبة التي تقدمها وظيفةُ الذاكرة ليست هي تكديس ما انطبع في مادة الجسد. إنها وظيفة الاختيار، الاقتطاع، والتذكير وعودة عنصر وحيد في داخل ما تم تكديسه دفعةً واحدة. النسيان ليس هو فقدان الذاكرة. النسيان هو رفض عودة كتلة الماضي على الروح. لا يَتَوَاجَه النسيان أبداً مع محو شيء ما قابل للتفتت، إنه يُواجِه طمر ما لا يمكن تحمُّله. الإمساكُ هي العملية المتعلقة

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

بتنظيم نسيان كل هذا «الباقي» الذي يجب أن يسقط من أجل الاحتفاظ بما نتمنى عودته. هكذا ترسي العودةُ النقص الخصاصة وزوال الحيازة. الذاكرة، قبل كل شيء، هي اختيارٌ لما هو آيلٌ للنسيان، ثم إنها، بعد ذلك، حجزٌ لما ننوي وضعَهُ بعيداً عن سيطرة النسيان الذي يؤسسها. كان هذا هو معنى الحفظ عن ظهر قلب. لهذا السبب، يضع الطفل يده كليّةً على الصفحة من أجل إعماء ما يجب أن يعود. النسيان هو العمل العدواني والأول الذي يمحو والذي يُرتّب ويحفر ويطمر ـ ويجمع بينهما إلى الأبد ـ ما هو منسي وما هو محفوظ.

بهذا القَدْر فإن الكلمات التي لا تريد أن تعود على شفاهنا تمتلك علينا سلطة غير متناسبة لنقصها. إنها تعجل معرفة، في إسهالها، يُحيل إلى التقزز. الكلمات تبجّل انفعالاً أو خوفاً لا يمكننا أن نطالب به لأنها تنقصنا في الخطة التي تنقصنا، وفي الخطة التي تنقصاننا (الانفعال أو الخوف) فضلاً عن أنه تم عيشُهُما (الانفعال أو الخوف) في ذواتنا قبل اللغة، أي قبل ترصيعها وحبل التذكير الممكن الوحيد، الذي هو ليس سوى حبل لسان. إنها ضائقة نقص الوجود، نقص مَن وُلد، التي

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

تستتر خلف ضائقة الكلمة المكتسبة التي تنقصها.

النسيان أصليٌّ. فقدانُ الذاكرة خاص بالطفولة. من أجل مضاعفة صعوبة هذا الارتداد، فإن فقدان الذاكرة الأصلية هي نفسها مُزدوجة. فقدانان اثنان للذاكرة يتيهان في أعماقنا: الأصل والطفولة. فقدان الذاكرة هو أصلنا باعتبارها تهُمّ تصوّرنا في التحام جسدَيْن صنعاننا، بنفسيهما، في لا ـ معرفة نتيجة ما كانا يصنعانه وهما يصنعان شيئاً مختلفاً. إنها طفولتنا لأنها تخُصّ تأخر اشتغالها (فقدان الذاكرة) حتى قبل بلوغ اللغة القومية أو الثقافية. وهكذا فإن نضج البنيات الطرفية الهامشية للدماغ لدى البشر لا نصل إليها إلا في الرابعة أو الخامسة. الذكريات الأولى تنبثق عموماً في سن الثالثة أو الرابعة. إنها تمسك (بالمعاصم) وتحمحم على ضفة لُغة تثبِّت عليها أقدامها. إلى حد هذه الساعة، نحيا، لا نرى أنفسنا ونحن نحيا لأنه لا يمكن لنا أن نرى أنفسنا ونحن نحيا. هذا الانصهار بيولوجي. تتعلم الرأس، شيئاً فشيئاً، نسيان النسيان. حفظ نسيان النسيان، عن ظهر قلب، هذا يعني أن نتذكر، شيئاً فشيئاً، أشياء مكان الروابط.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

كما أنه يجب أن نحصي ثلاث ذاكرات على الأقل: ذاكرة ما لم يحدث أبداً (تخيّل). ذاكرة ما كان (الحقيقة). ذاكرة ما استطعنا أن نتلقاه (الواقع). إن تذكاراً مَا هو في كل مرة شيءٌ آخر مختلفٌ عن كونه أثراً تذكيرياً (كابحاً للسيرورات الذاكريّة) الجامدة تم تحيينُهُ تحت ناظري رأس تدور إلى الخلف نحو الجحيم. وكي يعود هذا الأثرُ يجب أن تكون الهلوسة التي تنفي الفقد قد تعرضت لنقص رهيب جدا وفِطام مؤلم جداً وجوع لا يُطاق، وتُفضي إلى أن ترى الشيء الذي لا يوجد وتَرْسُمَه من جديد. يجب أن ترى الهلوسةُ بديلها. وهو ما يسمى بالحلم. كل حُلم ثدي أمومي نستحضره في غياب حليبه. كل حلم هو في حد ذاته خصاصة. إنها رضاعة للخيالي. إنها السرير الغريب لذاكرة ثلاثية الماضي: الذي لم يَكُن أبداً، الذي كان، والذي رفض أن يكون.

كما أن كل كلام، هو، دائماً، ناقصٌ. كلُّ كلام ناقصٌ، مرتين: حتى في الفرضية التي تكون فيها الذاكرة عملاً إرادياً بشكل كامل. مرة، لأن الكلام لم يتواجد دائماً (لأن اللغة مُكْتَسَبَة). مرة ثانية، لأن الشيء ينقص العلامة (لأن الكلام

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

لغة). كلّ كلام ينقصه شيؤه؟. شيءٌ ما ينقص اللغة. كما أن ما أُقْصي من اللغة يجب أن يَلِجِ الكلام ويجب أن يُعاني منه (أي الكلام). إنها هذه الكلمة.

كل كلام يود اللحاق بشيء ما يُفلت. كل اسم يفتح الحنين الذي يقف خلف الحنين، ما بين جحيم الأثر وبديل الهلوسة. هذه اللاعودة للكلمة، هذا الحنين، هذه المعاناة للاعودة هي اللغة. الكلام يمنح الرغبة للذاكرة التي توجهه للحلم ويتكرّسُ - ويبني فيها هويته - ليس احتشاد الذي لا يتوقف للعودة ولكن في خيار النسيان.

الاسم على طرف اللسان هو الحنين إلى اللسان الذي لا يضغط. هذا الحنين أوّلي لأن هذا النقص للغة لدى البشر هو أولي. الحنين يسبق الشيء الضائع. يسبق العالَم. هذا الحنين يخترع بواسطة كلماته، التي تأتي متأخرة بشكل دائم، وهْم الاندماج أو صورة المُتّصل الذي سبقَتْه والتي انطلاقاً منها يمكن للأشياء أن تأخذ تضاريسها والشكل الشامل للجسم الآخر، الذي ينبثق عنه، يأتي ليمارس فتنتَهُ. الليل هو مَصدَرُ الكلمات، الحلم الذي يهلوس أشياء لا توجد يُولّدُها. هكذا فإن

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

الليلة الرهيبة، الليلة التي لا يمكن الاقتراب منها، والتي هي مصدرُها، هي أيضاً مصيرُها. وحتى الرغبةُ التي تعتقد أنها ترغب في جسم مرئيّ محكومٌ عليها بهذه الليلة. إن الرغبة حين تعانق هذه الأجساد إنما ترغب في نقائصها. إن هذه الليلة، التي يُثْبِتُها من يمتلك اسماً، هي التي توجد على طرف اللسان. يرصُدُ حلمها. يحلم بإرواء، هو نفسه لا واقعيّ. لا تكون اللغة أبداً أقرب من حقيقتها إلا حين تحلم بهلوسة. الروايات أكثرُ صدقاً من الخطابات. أما الدراسة فتثرثر، بعض الشيء، دائماً ويهرب ليل صمتها بأقصى سرعة في اللغة وفي الخوف. إنها مكابدة يمكنها أن تغرق في النشوة، التي يمكن أن تغطس في الأعمال (الأدبية).

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

الجزء الثاني

Twitter: @ketab_n

www.kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n

www.kutub-pdf.net

في سنة 1899، كتب سيغموند فرويد، فجأة، في كتاب عن الحلم، هذه الجملة التي تُسقط، بشكل عنيف، الفكرَ أرضاً، والتي تملأ، دفعة واحدة، كلّ اللغة عاراً: «الفكر ليس شيئاً آخر غير بديل عن رغبة مهلوسة». من جهة، كل فكر، من ناحية الأصل، كاذبٌ. ومن جهة ثانية، كل كلمة هي كذب. «البديل» هي كلمة فرويد. حلم وكذب هما الكلمتان اللتان تلعب فيهما لغتنا. في الماضي كان يتم الحديث عن التصعيد، التسامي. الفكر محكوم عليه بالتخييل لأنه محكوم عليه بنفي شيء ما غائب. المادتان اللتان يتكون منهما الفكر البشري هما الغياب، الفرق مع الواقعي، والنفي، الفرق مع الغياب.

يوجد بياض في أصلنا. نكابد من فكر الأصل المستحيل.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

ومن خلال مكابدتنا لفكر الأصل المستحيل فنحن نكابد فكر أنفسنا المستحيل. لقد قدمْنا من مَشهد لم نكُن فيه ـ ولكن رغبتنا تمثّل وأحلامنا تلد. لهذا السبب فإن علامة الحلم هي الانتصاب، التي هي في الحقيقة، العلامة التي يحتاجها المَشْهد.

هذا الرأس الذي ينتصب فجأة، محتوى الجسد الذي يريد استعادة الكلمة الضائعة، هذه النظرة التي انطلقت نحو البعيد، هذه النظرة الضالعة في البحث عن الشيء الذي لا يمكنه أن يعود ـ مجموع هذا الرأس، بشكل لا يُقاوَم، جنسيّ.

في البحث عن الكلمة الضائعة، الصمت هو هذا الانتصاب. ولكن هذا البحث عن اللغة البشرية حدث نهاراً. غادَرَهُ النوم. غادره الليل. إن انتصاباً غادره الحُلم هو العجزُ.

أين يظهر الموتُ، لدى البشر، إن لم يكن في السعادة؟ اللذة هي تفكيك أعضاء في وسائلها، وامتصاص في نهايتها. في هلوسة

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

الرّضى، الحياة منتهية، البحثُ ينال جزاءه، والزمن تعرّض للتدمير. إنها النيرفانا. في النيرفانا، اللغةُ نفسُها تنسحب. إعفاء النفس من اللغة، التوقف عن كون المرء ذاته، التوقف عن التفكير، التوقف عن الرغبة، هذا هو النيرفانا. إن ما يسميه البوذيون بالنيرفانا هو الانفجار (الداخلي) المُفني للذات في اللا - رغبة. الموت الحقيقي، موت الآخر، لا تبدو إلاّ لاحقا، وبشكل جوهري، تجربة الرضى هذه، والتفكك والسعادة. انطلاقا من السعادة، فقط، يستطيع الموتُ الظهورَ، إذن، تحت ضوء الشقاء والإقامة في الشكوى، أي في تعب العيش وفي طرد الفكر، اللذين ليسا، بالصدفة، علامتين تشيران إلى اللذة. اللذة مثل الشكوى يقولان: «لدي رغبة في تحقيق الرضى، لدي رغبة في الموت».

التلذذ يتمنى النوم حيث يسقط. إنه يريد الليل، الذي هو دائماً الليلة الأولى؛ والتي هي، أيضاً، الليلة الأخيرة - التي سيلتحق بها بعد هذه «البرهة» من الجسد واللغة التي نسميها بيوغرافيا.

اللغة، بهذا المعنى، هي دائماً صراعٌ مرعب بين الليل والصمت. اللغة هي المَشْهد البدائي الذي يحترق. إنها ذلك

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

الصراع الذي يبحث عن الموت الرعشي (أقصى درجات اللذة الجنسية) الذي يرويه، أخيراً، وبشكل نهائي، الموت العضوي. لهذا فإن العثور على الاسم الذي نبحث عنه يمثل قسمات قريبة، حتى على وجه النساء، البُروز الكارثي للدفق الذكوري.

من خلال اللعب على الكلمة التي تلتصق على طرف اللسان، فأنا لا ألعب على الكلمات. ولا أجذب من شَعَر هذه المرأة الرأسَ المُشيَّد في الهواء، وهي تمدّ ذراعها في تردّد شبيه بحركات نبيلات رومانيات (من روما)، مرعوبات أمام القضيب المقنّع في فيللا Villa des Mysteres. إنّ لا ـ هيمنة ذكرى اسم معروف أو فكرة نحسّها في غياب علاماتها ـ التي لا نحسّ بها، حقيقة، ولكن التي تحترق: «أنا أحترق! أنا أحترق!» ـ هي لا ـ هيمنة الذات، وهي ظلّ الموت المحمول الذي يكفي أن نضع اليد على الكلمة الهاربة. إنها هذه اليد في الصمت. إنه هذا الافتراس الصامت. الكتابة، والعثور على الكلمة، هي الدفق المفاجئ. إنها هذا الاحتجاز، هذا الاحتواء، هذا الوصول المفاجئ.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

إنها الاقتراب ليس من النار ـ «أنا أحترق!» ــ ولكن من المَوْقد المركزي حيث تستمد النارُ جذوتها.

القصيدة هي هذا التلذذ. القصيدة هي الاسم المستعاد. التلاحُمُ مع اللغة هو القصيدة. من أجل تحصيل تعريف محدد للقصيدة، يتوجب، ربما، الإقرار بالقول ببساطة: القصيدة هي النقيض الصحيح للاسم على طرف اللسان.

الشِّعْر، الكلمة المستعادة، هو اللغة التي تعيد رؤية العالَم، والتي تُظهِر من جديد الصورة العصية على النقل التي تختفي خلف أي صورة، والتي تعيد إظهار الكلمة في بياضها، والتي تُنعش ندم الموقد الغائب دائماً في اللغة التي تعميه، والتي تعيد إنتاج الدارة القصيرة في فِعلٍ داخل الاستعارة. الصُّوَر محتاجةٌ إلى الكلمات المستعادة مثلما يسقطُ الرجال، الذين تحتل اللغة عندهم المرتبة الثانية، بشكل أبدي، تحت ضرورة إعادة ترتيب من طرف اللغة ـ وتحت ضرورة أن يكونوا، من جديد، متفقين مع فكرة اللغة، ويتوجب عليهم استعادة اللغة؛ أي، اللغة الحقيقية؛ أي اللغة حيثُ يكون الواقعي عاجزاً، حيث يصعد

Twitter: @ketab_n

www.kutub-pdf.net

الجحيم، في نفس الوقت الذي تصعد فيه أوريـديس (الحوريـة) Euridyce، حيث الفطام يطاردهما مـن خلفهمـا، حيـث ترفـع الرغبةُ، من جديد، الجسدَ نحو الأمام، وتشيّده؛ أي اللغة التي تنقُصُها الكلمة.

إحدى الأفكار التي أدِيـن لهـا كـثيراً هـي فكـرة لــكونغ ـ سوين لونغ Kong-souen Long. عاش كونـغ ـ سـوين لونـغ في زمن تشيو Tcheou، أثناء الحقبة المسـماة بالممالـك المُقاتِلـة، في تشاو Tchao. كان مُعاصِراً لـتيمي Timee. إن الذي يُؤاخِذ عليه الصينيون القدماء كونغ ـ سوين لونغ هو كونه «لا ينتمـي إلى أي مدرسة». هذا الانتقـاد يمكـن أن يُقـرأ في لـي ـ تسـو Lie-tseu. ترجمت سنة 1977 إحراجاً (مشكلة منطقية غير قابلـة للحـل) لـ كونغ ـ سوين لونـغ. وعلقـت عليـه، مجـدداً، سـنة 1986. لسوء الحظ، لِقَدره، فإن كونه «لا ينتمـي إلى أي مدرسـة» كـان نتيجةً لتفكيره. ولكن، لحسن حظ تفكـيره، فـإن هـذه النتيجـة لتفكيره هي ربما، وببسـاطة، نتيجـة للـتفكير، بسـبب عجـزه. ثمة اقتراحـان أشـار إليهمـا كونـغ ـ سـوين لونـغ، باعتبارهمـا

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

«مفاجئتين». إنهما، من دون أدنى شك، الاقتراحين الحاسمين:

«ثمة أفكارٌ تتفرع من أي مكان».

«ثمة تأملات من دون نتيجة».

يقول البوذيون إن الدمعة التي، تقع ما بين اللغة والواقع، لا يمكن أن تنفد. إنها الغانج.

في الليل، العلامة على وجود حلم ما، تعني الانتصاب.

في النهار، ما أن يكون ثمة انتصاب، فهي العلامة على حُلْم ما.

في اللغة، ما أن تَظْهَر نعوت عديدة، فهو الدليل على غياب اللغة. إنه العَرَض الذي يخُونُ الجزء الأمومي، الذي يشير إلى حنين الواقع ما قبل اللغة، الذي يُشير إلى المَوْقد المُشعّ، أي المَشْهَد العنيف، أي الواقع ما قبل الحقيقة، أي الجِماع، أي فرط الإحساس. إنها الحنين العمليّ للآخَر في اللغة، للشيء غير الموجود، للصورة غير القابلة للنقل وللاسم على طرف اللسان.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

في المجتمع، لدى من يريد التفكير حتى النهاية، اضطراب التفكير هو العلامة التي تشير إلى العُصاب. نُثبِّت شيئاً لا نستطيع تثبيته. نفكر، دونما انقطاع، في ثيمة لا نستطيع النظر إليها. نجد أنفسنا في حالة لا تستطيع الكلمات، إزاءها أن تتزود بالمعنى. تتكون الهوية الشخصية مثل مدٍّ من المعارك ضد هذا البياض. إنها قفزةٌ ضد هذا الحدّ. إنها قفزة تتجدد، دونما انقطاع، في أعماق الذات ضد من يصنع قفزة مغلوطة. الهوية الشخصية ليست إلا اسماً تفضيلياً من أجل التفوه بهذه الحُزمة من النضالات ضد الكارثة، ضد الانهيار، ضد انفجار اللذة، ضد انفجار العدوانية، ضد «الحظ» السعيد.

ثمة، دونما انقطاع، عالَمٌ (بعدي) لا يُدْرك يجذبنا إليه داخل اللغة مثل أوانٍ متصلة. لا يمكن أن تصله اللغة. إن ما يريدُ الكلامُ التفوه به هو ما يظل دونما انقطاع على الشفتين، ولكنه بسبب عدم انتمائه للكلام، يتنصل من جاذبيته. إنه الانفعال الذي يمنع الصوت في الكلام هو الذي يعود إلى الشفتين مثل كما في حركة التقيؤ والتي تتوقف قبيل الكلام: الذي هو، دونما انقطاع، على طرف اللسان وليس في اللغة. هذا الانبثاق

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

يمكن تحسسه في بداية الكلام نفسه، ولا يقيم في الكلام. إنه زمن الذهول الذي يسبق الكلام الحقيقي. إنه هذا الزمن المُعلَّق. إنه هذا التردد للزمن الذي يظهر على الشفتين المحرومتين من اللغة. إنه هذا الانتقال من الفوضى التي تسبق، دونما انقطاع، اللغة، لأن اللغة مُكتسَبة ولا تحيل إلا إلى أشياء، لا تشير أبداً إلى مصدرها. الكلمة الإغريقية التي تتحدث عن الفوضى نفسها تقول الوجه الذي يذوب؛ تقول الفم البشري الذي ينفتح.

لهذا فمفهوم الوضوح يحافظ على وجوده، دائماً، في الذهول وهذا حتى في عقلانية الكلاسيكيين. يوجد في الدارة الصغيرة، وفي الا تاءات مع ما هو ضائع. ولا تتعلق أبداً بقسوة اللغة. عِلْماً أنه في اللغة ـ على قاعدة الصمت يمكن أن نسهر على ازهرار كلمات حقة، كلمات ـ على ـ طرف ـ اللسان، وهي تُتيح إضاءة داخلية على الأشياء الحقة قبل الأشياء، على الذات حين لا تكون لنا ذاتٌ بعدُ، أي حين يقترب تغييرٌ للعالم لأن الواقعي يَظْهرُ فيها وهو يبدي عجزه ويترنح ويُظْهِر نفسَهُ، من جديد، جاهزاً وحنينياً ومسلوباً وبه عوزٌ. لهذا السبب فإن منْ حق اللغة أن تكون، فجأة، «غير موجودة» وأن

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

يَتمّ ردّها، بصفة مفاجئة، إلى البحث عن كلمة بلا طائل. إنها اللغة نفسها التي يكتشف المتحدّث فجأة أنهُ مفصولٌ عنها، مفصولاً، بشكل كلّي. وحين تتوقف مكونات اللغة، كلما فشل، حينها يمكن للكلمة الحقّة أن تنبثق. حينها تقول هذه الكلمة أكثر ممّا تعني. الكلمة الحقة هي المفتاح الذي يفتح فضاءً أكثر رحابة من لسان القُفْل في المغلاق الذي ينسحب من المِزْلج، ومن الباب التي يفتحها. إنها الكلمة المستعادة التي هي السمسم (الذي يفتح كل الأبواب) ليس باعتبارها كلمة، ولكن باعتبار ما تُعيده إلى المشهد الذي يستعصي نقلُهُ، وباعتبار ما تفتحه في «طرف» اللسان، وباعتبار ما تقدّمه للواقع. وما يثير الذهول هو أنه ما أن تولد كائنات ـ اللغة (البشر) حتى تنتقل إلى اللغة، اللغة هي التكوين ـ الجديد الوحيد للحياة بشرط أن يظهر عجزاً.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

الجزء الثالث

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

إن مـا نسـمّيه «التوقـف عنـد الصـورة»، هـو اللحظـة، هـو المحركّ حين يصبح جامداً. هو الزمن الذي يُوقفُهُ انهيار اللغـة. إنه حين يصبح الفيلمُ صورة. يقـول أرسـطو بـأن لـدى الإنسـان الجزء الموجود ما بين الشعر والعنق ويسمى الوجه «prospon»، أي ما ـ يُقدِّم ـ من الذات ـ إلى ـ نظر ـ الآخر. ويضيف أرسطو: «لأن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يقـف مسـتقيماً، والـذي ينظر إلى الأمام، ويُصدِر صوتاً إلى أمام، إنه الوحيد الذي يمتلـك وجهـاً».

حدث أنْ ميدوزا هي الإلهة الوحيـدة الـتي وضـعت قناعـاً يحمل وجهاً بشرياً. قناع ميدوزا هـو الوجـه البشـري الأنثـوي، منظوراً إليه من أمام، الفم مفتوحة بشكل كبير. إنه وجه المـوت

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

في صرخة الرعب.

القناع ذو الوجه البشري يصرخ كي لا يلتحق بالرأس المقعرة، الرأس التي هجَرَها النظرُ، الرأس المتجمدة، المسحوفة، الرأس الصامتة لرؤوس من دون وجوه. الرؤوس من دون وجوه هم الأمواتُ.

الانشغال الداخلي الذي يستولي، بحدة، على المرأة التي نحب أكثر من ذواتنا، تثير اضطراب النظر وتسبب دائماً حركة تراجع.

كانت تمثالاً. كانت جميلة.

تركيز نظرها، مثلما يمر بعيداً من فوقنا، يثير ارتعاش الضوء.

حين وصلت سفينة عوليس أمام الجزيرة التي تعيش فيها الحوريات، توقف هواء البحر الذي كان يدفعها. فجأة، لم تعد توجد أي موجة تُكدّر سطح البحر. توقفت السفينة إذن في الضوء - في «مطر من الذهب» ـ وعوليس معلق بصارية بمَغرزِ

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

الصاري متدلياً لشفاه الحوريات.

الحوريات هنّ ميدوزا الجماع الإيروسي. الغُرغونات هن حوريات صرخة الموت.

كانت أمّي تُسكِتنا. كانت تنكبّ على الكلمة التي كانت توجد على طرف اللسان والتي كانت ترغمها، بطريقة أو بأخرى، على العودة. كانت متكزِّزَة وتبذل قصارى جهدها كي تصطاد من قرارة نفسها إيتيمولوجيا. مُقنَّعة، متشنجة وهي تبحث، تحاول أن تنتج اشتقاقا فيلولوجيا، معيدة المراحل وهي تُصدِر أصواتاً تبدو بعيدة الاحتمال. كانت تقول «sykolon»، كانت تقول «ficato» وبعد قائمة طويلة من قرقرة الأمعاء التي تزعزع وجهها، وفي نهاية سلسلة طويلة من التغيرات غير الواضحة، الإغريقية والرومانية والإمبراطورية والميروفنجية والإيطالية والبيكاردية، تصل إلى «كبد». كنا مصعوقين. كانت تُصعِد الكلمات من عمق العصور. كانت أمي تُصدِر تمتمات طفولية جداً ومختلفة كنا عاجزين عن القيام بها. كانت ساحرة. كانت تقول «homo»، وكانت شفتاها تنقبضان، يتمدد

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

فمُها، يشتد الشكل، وينتهي الأمر إلى «on». تبدأ بالشيء «rem» ـ وينتهي الأمر إلى «rien».

أمي وهي تريد العثور على الشكل الضائع، أمّي وهي تنهك نفسها وهي تود استعادة الفعل القديم الذي يُفسِّر كل شيء، أمّي وهي تبحث عن كلمتها كانت تتحول إلى مظْهر ذاتها، كما لو أن البحث، من خلال تجميد القسمات ومن خلال تثبيت النظر، يَفْرِض قِناعه على الوجه ـ قناعاً يشبهها بشكل كامل، إن لم يكن الحياة.

الوجه يتجمَّد في تركيزه. يتجمد في البحث وفي الحرمان. لم يَعُد متحركاً. اللا ـ حيّ le non-vivant اجتاحه. وجه التي تبحث عن الاسم الذي يوجد على طرف اللسان لم يعد لها وجْه.

لم أستطع صرف بصري عن هذا القناع الذي رحل إلى العالَم الآخر بحثاً عن كلمة. كما لو كنت أنتظر، بقلق، عودة الروح في الجسد، في الحركة وفي الابتسامة وفي حرارة الحياة وفي رقة النظر، وعودة الكلمة في اللذة الصوتية لنشره ثم ترديده في

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

فرح الوضوح، بمجرد العثور عليها.

يبدو أنـي أُرجِـع كـل شـيء إلى هـذه النظـرة الضـائعة وإلى الكلمة التي تبحث عن نفسها فيه. أُذيـب كـل شـيء في ثبـات هذه النظرة الضائعة لأن كلّ شيء في ذاتـي ذاب فيهـا. أصـرِف بصري عن الأنقاض. أذُوبُ في هذا الصمت وفي هذا العَوَز. تُسمع صفّارات القوارب العائدة إلى الميناء. ماما تبحث عن كلمة. مامـا كانـت غائبـة. وجههـا كـان قناعـاً. كانـت الأم الغائبـة قلـبَ حياتي. لم أَقُمْ بنذر الصمت. كنتُ منـذوراً، قبـل أن أنقطـع إلى هذا الرصد للغة الضائعة. الموسيقى هي هذا (الشيء) في داخلـي. الكتابة هي هذا (الشيء) في داخلي. نفاد الصبر حـول الانتقـام (أن نصير الاسمَ الذي نبحث عنه، أن نصبح بأنفسنا المثالَ عـن هذه اللغة الضائعة، أن نصير بطل الصـراع البـدائي، أن نصـبح برسيوس Persee، وأن نضع، مثله، قلنسوة من جلد كلب لإله الموتى في الرغبة التي لا رجوع عنها، والـتي هـي أكثـر مـن أن تُقاوَم، في مواجهة ميدوزا، وتحدّيها، وجها لوجه، في مواجهـة نسائية وبشرية). هذا الانقباض حول الشيء الذي يُبحَث عنـه،

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

حول الكلمة التي تتخلف عن الحضور، حول موت الآخَر في اليوم الذي تكون فيه شروط العقاب متوفرة، حول الاستعارة (التي هي في نظر أرسطو ليست سوى البحث عن خطاب قادر على جعل المستمع يجثم على ركبتيه، وببساطة كبيرة، في نظر المولعين بتفخيم العبارات من الرومانيين، البحث عن الجملة القاتلة)، وحول الرسم القديم، حول لحظة التلذذ الجنسي، حول الكِتاب، كل ما يساعدني على العيش بطريقة غير منتظمة يختلط في هذا الوجه الذي يتخلى عن الوجه ويتحول إلى وجه بشري مهجور، الفم مفتوح على اللغة الضائعة.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net



Twitter: @ketab_n

www.kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

ثلاثة وحوش تسكن في الغرب الأقصى، وراء حدود العالَم، بجانب الليل. اثنان من هذه الوحوش، كانا خالدين، ستينو Stheno وأوريالي Euryale. الوحش الثالث كان فانيا ويدعى ميدوزا. كانت رؤوسها محاطة بالأفاعي. كانت تمتلك أنياباً ضخمة شبيهة بأنياب خنازير برية تعيش منعزلة، وأيْدٍ برونزية وأجنحة ذهبية. أعينها تصدر بريقاً. كان ظهور الوحوش سابقاً على ظهور الآلهة. وكل من تصادف نظره، إلهاً كان أمْ بشراً، مع نظر الوحوش تحول إلى حجر.

كانت للملك أرغوس Argos، ابنة جميلة جداً وكان يحبها حباً جماً. كانت تدعى داناي Danae. وقد حذّرها الكاهن من أنها إذا أنجبت ولداً، فإن الحفيد سيقتل جده. سجن الملك

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

على الفور ابنته في غرف تحت الأرض جدرانها من البرونز.

جاء زيوس Zeus لزيارتها في هيأة مطر من الماء. هكذا ولد برسيوس Persee.

بكى الملك. اقترب من شاطئ البحر. ووضع داناي والطفل في صندوق خشبي. وألقى بهما في البحر. عثر صياد على الصندوق في شباكه. اعتنى بالأم وربى الابن. حدث أن المستبد بوليديكتيس Polydectes علق بحبّ داناي، وطمع في جسدها، قال برسيوس Persee إنه سيمنح للمستبد رأس وحش بوجه امرأة إن أوقف رغبته.

أخذ رمحه ودرعه وسيفه وقناعه وانطلق نحو الموت، غرب العالم. دخل وفي ملكيته سبعة أشياء سحرية: الحذاءان المجنحان، المطرقة والخُرْج، السنّ الوحيدة والعين الوحيدة للأخوات الثلاث الغراياي Grées، قلنسوة من جلد كلب إله الموتى. عثر على مخبأ المرأة ذات وجه المرأة من أمام. وكي يتجنب التقاء بصره ببصرها، اتخذ تدبيرين اثنين: 1ـ قرر برسيوس الدخول ليلاً إلى المغارة الفظيعة، 2ـ صقل برسيوس درعه.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

هكذا استطاع برسيوس تجنب النظر إلى ميدوزا حين واجهها في المغارة: استخدم في الليل دِرعه كما تُستخْدَم مرآة. كانت المرآة ترسل له صورتها، وكانت مرعوبة. قالت:

«أنتَ لم تَرَني. استخدمتَ معي حِيَلاً، ومع ذلك أقول لك شكراً. حين أكون ميتة، ليس فقط سيحافظ وجهي على سلطته بل ستُقوّيه بقتلك لي. وجهي كان يمثل الموتَ لمن يراه، سوف تضيف موتي إلى وجهي. لكن أخشى أن تندم على فعلتك. فكّر قليلاً. أنا وجهُ النساء، ولن تعرفه. انْظُر إليّ!».

قال برسيوس لميدوزا، وكانت رأسه لا تزال منقلبة إلى الخلف:

«لا يبدو لي أنني سأفكر أبدا في النظر إلى الموت».

حينها رفع برسيوس السندان، ورأسه لا تزال موجهة إلى عمق المغارة، مستعيناً بالمِرْآة كي يلمح ظل الجسد. فصَل رأس المرأة ذات وجه المرأة. متحسساً في الليل، أخفى الرأس في الجِراب وأحضره إلى إلهة مدينة أثينا التي وضعتْهُ في وسط دِرْعها.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

«ordinatur, contenat, rumpart.»، إنها ثلاثة، كما قال إيسيدور من إشبيلية Isidore de Seville. الأولى من أجل التسدية (سدّى ثوبا) والثانية من أجل النسج والثالثة من أجل القطع.

توجد ثلاث ساحرات لأنه توجد ثلاثة أوامر قاتلة. توجد ثلاث ساحرات tria fata لأنه توجد ثلاثة أزمنة.

يلوين بأصابعهن الخيوط.

الماضي هو ما ينحلّ من المغزل. الحاضر هو ما تحت الأصابع. الحاضر هو الصوف الذي يبقى على المغزل.

لماذا هن نساء؟ لأن الرجال لا يلدون النساء. لأن النساء والرجال ولدتهم نساء. لماذا كان للإلهة كوجهٍ وجهُ المرأة ذات وجه المرأة؟ لأنه الوجه الأول. من بين ثلاث نساء، لا تزال اثنتان منهن خالدتين. من بين ثلاث نساء، لا تزال اثنتان من الأمّهات.

لماذا تصبح النساء أمّهات؟ لماذا تنجب النساء؟ تنجب النساء من أجل دفع الموت في سلسلة الأجيال. يُمرِّرن المشعل الذي يُحرِق الأصابع ما أن يُقرّبنه من وسط الموقد المشتعل.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

يمررن المشعل الذي يُروِّعهن. يمررن صورة ما لا يمكن أن يُرى مِنْ أمام. يمنحن الوجهَ الذي لا وجْه له. يَعْهدن بأمر الصراخ إلى من هن أصغرُ سناً لأنهن لا يمتلكن جرأة تحمل الجحيم لوحدهنّ، لأنهن لم يشهدن، أبداً، عن الرغبة في وقف سير صرخة الموت. الآباء les Peres ينقلون اسماً لا يعني شيئاً، في حد ذاته. يمنحون اللغة. النساء ينقلن ثقل الموت على ظهور أطفال أنجبنهم في الألم، أفواههن مفتوحة، وهن يصرخن. إنهن يمررن الأصل. الآباء ينقلون الاسم. الأمهات ينقلن الصراخ.

ما يوجد تحت الأصابع، ما يوجد فوق الشفاه، ما يوجد تحت العيون، هي ثلاثة أشياء. إنها آلهات القَدَر Parques وأبو الهول (سفينكس) Sphinges و... الحوريات أو الجورجونات. من جهة، ثمة صوت الهلاك. ومن جهة أخرى، ثمة النظرات الصاعقة. إنهن النساءُ، دائماً، لأن الأمهات نساءٌ، دائماً.

الذهول في النظر أمام الشيء الزائد، الشيء الذي يزداد، شيء التحوّل (المسخ)، الشيء الذي يشير إلى الحلم، لا علاقة

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

له بالذهول أمام اللغة الناقصة. يستطيع برسيوس Persee أن يُحوّل ضد نظر ميدوزا سلطته في القتل. الغياب إلى الذات في البحث عن تذكار يُفلِت من إرادة من يريد استعادته لا يمكن قلبُهُ. إن ما يُفلِت لا يمكن جعله ينعكس. لا يمكن رؤيته في الواقع، ولا رؤيته في مرآة. إنها ميليزين Melusine. وكما هو الشأن أثناء الولادة، وكما في المراحل الأولى من الطفولة فإن الجلد الذي يفصل الذات والعالَم ليس موجوداً. هذا الجلد المفكك هو العجز. الكلمة تاهت في الذات أو خارج الذات، بصفة متواصلة. مثل ذبابة، كما قالت كاثرين دي ميديسيس في جنونها. مثل الموسيقى، التي لا تعرف لا الداخل ولا الخارج والتي لا يمكن أن تحمي ضدها أي جلد ولا أي جفن. لأنه لا يستطيع أي جفن أن ينحني على أُذُن.

يتم تمثيل الجورجونات، دائماً، من أمام، مثل الجنس النسائي. إنهن صاعقات.

تماثيل سيلينوس silenes يتم دائماً تمثيلها جانبيّاً، مثل

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

الجنس الذكوري.

أمام سفينكس Sphinge، يجب معرفة الإجابة أو الموت. حضور الذهن يعارضه حضور الدَّرَج. كيف يمكن الإجابة على اللغز، وبصيغةٍ ما، قلب المرآة لهذا اللغز؟ من خلال امتلاك وقت العودة لكل كلمة توجد على طرف اللسان الذي أصبح طرف ورقة: إنها الكتابة. الكتابة هي الإمساك بزمن الضياع، الإمساك بزمن العودة، المشاركة في عودة الضياع. إذن فإنّ الانفعال له زمن بعث الحياة في التذكار؛ للتذكار زمنُ العودة؛ الكلمة تمتلك زمن العثور عليها؛ الأصلُ له زمن الإذهال من جديد؛ الوجه يعثر على وجه.

ما بين اللذة والرغبة، نظلّ يَقِظين. أثناء اليقظة - التي هي حلم نهاريّ - نكتُبُ. نبحث عن الكلمات. نخدع العوز من خلال البحث عن الكلمات. كريتين دي ترْوا Chretien de Troyes هو الروائي الوحيد في لغتنا الذي عدّد في رواياته هذه

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

الألغاز ومَشَاهِدِه عن «songears villants»، هذه النسيانات، الإغماءات، هذه التسليات أو هذه الأحلام الواقفة، هذه النوبات الصمت المفاجئة، لحظات الاستسلام للفراغ، هذه الذكريات الغامضة التي لا ننجح في ترتيبها على الرغم من القلق الذي يزورها عبر هبّات، هذا الذهول، هذا العدم، هذا الضعف، هذه الإنتشاءات القصيرة.

وقف بيرسيفال Perceval في الثلج معتمداً على رمحه. «كان يفكر إلى درجة أنه نسي نفسه». فجأة تطير البجعات المتوحشة. ثلاث قطرات دم على الثلج.

الكتابة هي سماع الصوت الضائع. هي امتلاك الوقت للعثور على كلمة اللغز، وإعداد جوابه. إنها البحث عن اللغة في اللغة الضائعة. إنها اجتياز، لا يتوقف، للفارق بين الكذب أو البديل والعَتَمة الغامضة للواقعي، بين انقطاع اللغة المحكوم عليها بانشقاق الأشياء والمنخرطة في تحديد الأفراد ـ الوجه كما تراه المرآة ـ والاستمرارية الأمومية، النهر، وقذف البول الأمومي

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

ـ الوجه منظور إليه من أمـام. كتـب بـول دي تـارس Paul de Tarse في رسـالته الأولى إلى أهـالي كورنثـوس Corinthiens:

«حينما كنتُ طفلاً، كنت أتحدث كطفل، وأفكّر كطفل، وأحكّم العقل كطفل. وحين أصبحتُ رجلاً، قضـيت علـى كـل مـا لـه علاقة بالطفل. والآن نحن نرى في مرآة وعبر لغز: إذن سـيكون وجهاً لوجه». إن ما يبحث عنـه الكاتـب الـذي يَعتَبـر الكتابـةَ حيويّةً، في اللحظة التي يكتب فيها كتبه، هو ربمـا لـيس أبـداً العمل الذي يَنتُجُ عن التسجيل، بل هو هذا الخمودُ. شخصـياً، أعترف أن ما أبحث عنه من خلال الكتابة هو العجز. ومن هـو الذي لا يقتنع وهو يرى ما أكتبه؟ إنها إمكانية (هذه الإمكانية) غيابي عن كل التقاط تأملي عن نفسي بنفسـي في اللحظـة الـتي أكتب فيها. إنه التغيّب حتى اللحظة التي كنـتُ غائبـا فيهـا. إنه التغيّب حيث أُصبح. إنه الموقد. أو إنه اللغز، علـى الأقـل. ما هو اللغز؟ يجيب البوذيون بأن اللغز هو مايا Maya. مـن هـو مايا؟ إنه انعكاس النيرفانا. ما هـو الاسـم السنسـكريتي للدلالـة علـى اللغـز؟ إنهـا كلمـة برامـان braman. إنــه الوصـول، مـن جديد، بفضل العجز، إلى ضفة اللغة. إنـه المنبـع الـذي يصـعد

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

إليه سمك السلمون، بطريقة مجنونة، طول حياته، كي يبيض، أي كي يموت. يلحق بها كي يولّد ويموت. الكتابة هي التوليد. هذا الإحساس بالانصهار هو السرير القديم، الماء الذي يفكّك، الفضاء السائل حيث نمرح أثناء الاحتضار، حيث المستقبل يصبح الماضي، حيث الموت يعادل الولادة. إنها هذا الزَّبَد. إنها أفروديت. الأبيض الذي هو اللغز. الأبيض الذي يمكن مقارنته، بالتحديد، بما يبحث عنه الذي يقرأ حين ينهمك في قراءته، لكنه أكثر بياضاً في الأعلى. أبيض أكثر ضياعاً من ضياع القارئ، لأن هذا الأخير هو سيد ضياعه. أبيض قريب من جداً من المنبع ويشبه من يتحكم، بصفة متناقضة، في خسارته والذي لا يضع أبداً نفسه في وضعية الاقتراب. أبيض مثل السمك. أبيض مثل القطرة التي تتخلى عن اللذة.

أبيض مثل المرح. الزَّبَد ليس سوى البحر الهائج. أفروديت هي: «الإلهة التي وُلِدت من الزَّبَد».

تنعزل ميلوزين Melusine مرة في الأسبوع في الغرفة الممنوعة وتأخذ فيها حمّاماً. تصبح سمكة من جديد. تمرح في

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

الحوض الصغير. وتغني.

يريد السيد دي لوسينيان de Lusignan أن يرى. ثقب الجدار الرصاصي وعلى الفور اختفت زوجتُهُ وهي تصرخ، في ضرية كبير بذنبها في الحوض الصغير، الذي تم رشُّه فيه.

لا يمكننا أن نظّل عند البشر إلاّ إذا تمّ تجاهُلُ طبيعتنا الحيوانية. إننا نشبه الجنيات اللواتي تُدمرّهُنّ اللغة المتداولة. إذا قطعنا الصمت، فإنهن يختفين في ذات اللحظة التي يمرحن ويسرحن فيها.

في الغرفة المحظورة، في غرفة تطوُّر النوع philogenese، في منأى عن النظرات، فإن من يكتب هو الذي يمرح ويسرح. يتحول إلى أول إنسان ramapitheque، ثم إلى حيوان الراسغ، ثم إلى مدفأة. ثم يلتحق ببحيرة الكربون (الفحم). ويتسلل على طول الضفة. يغوص ويتحول إلى سمكة. يلتحق بالماء، الطيف في الليل، بيغ بانغ big bang أي أغنية ميلوزين... Melusine. هذه الصرخة هي الكتابة. إنها الدارة القصيرة ما بين تطوّر الفرد ontogenese وتطوُّر النوع philogenese، في غرب العالم، ما بعد الليل.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

الجزء الخامس

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

دونما انقطاع لا يوجد عالم في المكان الذي نتواجد فيه. ومن دون توقف فإن صورة العالم قد مرّت. ومن دون توقف فإن التي نحبّها تحولت إلى حلم. ومن دون توقف فإن الذكريات ليست سوى حجارة.

(أقولها لكم، يا إخواني: الزمن أصبح قصيراً. وأن الذين لهم زوجة يعيشون كما لو أنه ليست لهم زوجة. الذين يبكون، كما لو أنهم لا يبكون. من يستعملون هذا العالم، كما لو أنهم لا يستعملونه. لأن صورة هذا العالم مرّت). من اللحظة التي أكتشف فيها أننا في حاجة إلى اللغة، أكتشف حلم الكلمات الحقّة في عمق الصمت - مِثل جُزُر على الموت - التي تثير

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

ارتعاش الذي يتفوه بها من رغبة أو الذي بحّحَها بعبث، وتجعله ينخرط في البكاء.

هذا الكتاب الصغير الذي يهمّ ميدوزا ليس إلا قِسماً من حياتي.

الحكاية، على خلاف حياتي، هي جزءٌ تبقّى من حلمي.

كل حلم مستحيلٌ: لكنْ لا وُجود للأحلام الممكنة. إنها مفاجأته التي جمدت الوجه ورفعته. الحلم هو الذي يصر على أن يحلم تحت اللغة، مُهْمِلاً البديل. الكتاب الذي فتح الباب على واقعٍ لم يُرَ أبداً في لغة كانت مفاجأة، التي تخنق، فجأة، إلى درجة الإيلام، أو الذي يبْدو، فجأة، بالغ الرقة، والفخامة أو منحرفاً بحيث يفاجئ العقلَ في اللذة غير المتوقعة. كل لذة هي التي تأتي مُفاجِئة. إن ما يُنتظَر من كاتبٍ مَا ليس فقط مجهولٌ بالنسبة لِمن ينتظرُهُ ولكنه مجهولٌ بالنسبة لمن يكتبه، ما دام أنه صحيح أن شيئاً ما ليس موضوعاً لن يكون أبداً مشروعاً. إن من يكتب يغوص في الكلمة الغائبة من أجل العثور

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

على شيء ما يجهل اللغة، عن شيء ليس بالجيد ولا بالجميل، والذي يُرعِب اللغة ويَفتِن الأيام، والذي يهجم من أجل الهجوم، الذي يُولَد، الذي لا يوجد في ما هو عليه، الذي يُولِّد والذي يُولَد ويُرعِب، الذي يُزعِج الأموات الذين يوجدون في الجحيم، الذي يقطع العلاقة مع النظام الذي وُجِد من قبله، والذي يقطع العلاقة مع الأحياء الذين يعيشون معه، الذي يحيا من أجل الحياة.

يقطع العلاقة مع ما كان عليه؛ هو يعشق القطع؛ هو يعشق مقت المرئي. يُكرِّس نفسه، بشغف، لِما يجهله كل الآخرين عنه. يُكرِّس نفسَه للشيء الذي هو ليس موضوعاً أبداً، للكتاب المفتوح مثل الفم المفتوح على الكلمة الناقصة والذي هو على وشك استعادته، والذي سيعيد إحياءه أكثر حيوية مما عرفه (سابقاً).

مثل بحارة عوليس، في الريح النازلة، يسبح. كل شيء يمرّ. (الألسن؟ سوف تصمت. العِلْم؟ سوف يختفي). إنها إعادة العالَم إلى ما قبل ـ العالَم، وإعادة إحياء بلا توقف، وإعادة

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

إعطـاء الحيـاة، و.إعـادة العهـد نحـو الأعلـي، إعـادة إحيـاء الحيـاة، إعـادة إضـاءة الشـمس. إن مـن يكتـبُ يبحـث عـن الإشراق.

إنه لمعان النظر التائه الذي ينهض والذي يبحث. أنا منذورٌ لهذا اللمعان، ولانتصاب هذا الوجه المفطوم عن اللغة. « sentio legem» أحسّ بقانون.

«sentio legem». أحسّ بقانون. إنها هـذه النظـرة. إنهمـا حاجباها اللذان يُقطّبان. إنّ هذه اليد هي التي ترتفع أمـام الفـم الصامت والتي تُسبّب الصمت من حول المرأة ذاتِ وجـهِ الوجـهِ الذي تبحث عنه.

«sentio legem». أُحِسّ بقانون. أحس بهـذه النظـرة الـتي تتصـلب. لا أومـن بوجـود بسـيِّد للعـالَم. لا أرى مُسـبقاً أنـي سأخلف جسدي ولا أن شكلاً جديداً منّي سيعوض جسدي وأن هذا الشكل الجديد سيقترب، وهو يرتجف، من عَـرْش، ولا أن يكـون حسـاب وعقـاب. «sentio legem»: ولكـني أحـس

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

بـدواخلي بقـانون. ولكـني أحـس في دواخلـي بيـوم الحسـاب، بالحساب نفسه، قسوته عديمة الشفقة، التبجيل الـذي يـوحي لي به. أكتب من أجل فجر هـذا اليـوم. لا أحـبّ مـن الأعمـال الفنية سوى تلك التي تؤمن بيوم الحساب.

Dies irae. أومِنُ بإشراق هـذا اليـوم. أُومِـن بيـوم الغضـب. أومن بالمحكمة المطلقـة، حيـث يـتم الفصـلُ مـا بـين الـرديئين وأصـحاب الاسـتحقاق، وحيـث يـتم التمييـز بـين الـدجالين والأصِلاّء.

Dies Ultionis. أومن بيـوم الانتقـام. أومـن بيـوم الإشـراق. حيث يُكافأُ الشرُّ بالشرّ؛ وحيث يؤخذ القصـاصُ مـن الشـتائم؛ حيث يتم الكشف عن الضغائن. وحيث تظهر حقيقة الدسائس، حيـث تُغسـل الإهانـات. الـربّ قـال: «الانتقـام لـي! أنـا مـن أجزي!» «Mihi vindicta! Ego retribuam!, dicit Dominus»

Dies Domini. أومـن بضـوء الأحـد.« Dies Domini declarabit». سيكشف يوم الحساب عمـل كـل فـرد. لأن يـوم الحساب سيكشف عن نفسه في النار: «Ignis probabit» في أي نار يتحدد يوم الحساب؟ يوم الحساب يتحـدد بهـذه الجملـة:

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

«Neque meipsum judico» (لا يمكنني أن أحاسـب نفسـي).
ومن يقاوم فإن النار ستثبّته بقوتها. أما الضعيف فسيفنى. الربّ قال: «إنه يومي. لن تفعلوا يوماً في بحـر يـوم بأكملـه. كـل يـوم ستخصّصون لي هذا اليوم. ستظلون هنا في انتظاري مـن دون أن تـزدادوا؛ سـتظلون في انتظـاري وأنـتم مرعوبـون؛ سـتظلون في انتظـاري وأنـتم تبحثـون عـني؛ سـتظلون في انتظـاري وأنـتم تشبّكون أصابعكم؛ سـتظلون في انتظـاري وأنـتم تصـلون بأقصـى أطـراف شـفاهكم؛ سـتظلون في انتظـاري وأنـتم ترتجفـون مـن الرعب؛ وستكون ليلتَكُم لأنه يومي». كـل يـوم عنـدي هـو يـوم أحد لأن كل ساعة هي انتصابُ الضوء.

Sentio legem. ألصقتُ بفعل الكتابة فكرة الواجـب. كـان يبدو لي، أنـه في غيـاب كلمـات الصـمت هـذه، لم أظـل يومـاً واحداً على قيد الحياة. كان يبدو لي، أنه في انعدام الجـرأة أن أصبح أخرساً بشكل كامل، فسأظل بالقرب من حـرارة حيويـة. لهذا السـبب لا يمكـن لأي يـوم، بالنسـبة لـي، أن يكـون يـوم عطلة. سوف أموت، مـن دون شـك، مختنقـاً مـن القلـق. ربمـا

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

تعلق الأمر بلوحة تحمي من الغرق، أو مبرراً للانعزال، أو حيلة للتخلص من اليقظة ومن انتباهها ومن التفات الآخرين، حُجّة لخداع العائلة والأحباب والعالَم المختبئ عن ذاته، وأضع نفسي خارج لُعبة اللعبة من دون أن أموت. لكنني لم أعُدْ سيّد الحاجة نفسها، ولا سيّد إجراءات الساعة في الفجر. أريد، الآن، كسر المرآة. أريد، الآن، النهار، وأريد، الآن، وجهه. لا أستطيع استبدال ساعات هذا الفجر بساعات التمرن على كمان كبير، ولا بأسفار يكون الحذر فيها مطلوباً، كما هو الشأن في سيارة، ولا بأعياد، أو مشاهدة أفلام، أو بنصائح إدارية أو عمليات دفن لأصدقاء. في كل مرة تبدو لي كل فرصة وقتاً للفراغ وتملأني خطأً.

نحن عاجزون. الأسرُ الذي يضعنا فيه الجوعُ، كلَّ يوم، الحلمُ الذي يرفع الجنس والحركة والخوف والمرآة واللغة تتكون من جديد مثل أمواج تتكاثر في المحيطات المفتوحة. ليس لنا أن نتخلى عن سحر البوظة بالقهوة التي تهرب تحت السكاكين. ليس لنا أنْ نتخلى عن رغبتنا ولا أن نتركها للعُمْر أو الراحة،

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

للمجد الظاهر ولا للمَنَاصِب وضجرها ولا للتشريفات ولا للأدوار، ولا للنساء، ولا للمال. ليس لنا أن نتركها لمنزل ولا لعائلة ولنظام تفكير، ولا لرفاهية ولا لقضية ولا لسلام، مهما كانت هذه المحفزات. المتاع الذي حصلنا عليه عند ولادتنا، ليس سوى الحياة والشراهة للحياة، ولا شيء يجب أن يُصادِرها بشرط أن لا نرغب في الموت، هذه الحياة الغامضة جداً والمتوحشة، المتمردة على اللغة والشرسة أمام الضمير، القليلة الإنسانية والخطيرة، أو القاسية إلى درجة أن هذا المَصْدر المُقلِق الذي لا نعثرُ عليه أبداً، كما ينبغي، على طرف اللسان، يظهر لنا. كل الباقي موتٌ. كل موضوع تتثبت فيه هذه الرغبة أو هذا العنف هو الموتُ. لا يمكن إرواء غليلها. إنه الدوّامة التي يجرّ إليها.

أحب أن يخلق البشر حياتهم كما لو أنهم يتوجهون إلى هذا اليوم، يوم العري والخوف والحقيقة - التي هي الخوف منظوراً إليه من أمام - والهزة في الضوء. الأنا ليس أكثر تحكماً في البشرية بحيث تستطيع النهوض فوق الذات من أجل قياس الهوية التي يغترّ بها - لأن هذه الأخيرة (الهوية) ليس سوى

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

البديل الأبديّ لليلة لا يمكنه أن يتأملها. إن درجة تحكّم الإنسان في اللغة تعادل وضعية الأرض، التي ليست هي مركز المجرات، ولا تتحكم في الكواكب ولا الثقوب ولا ضياء النجوم. اللغة شاشة. الإرادةُ لطخةٌ على البصر. الوعيُ شيطان ساتاليت. الكل يقدمون القتل والموت. صفاء الذهن، العقل، اللغة الحية جَنْبات (شجرات صغيرة) تتطلب عناية لا متناهية، والتي تموت دونما انقطاع، لأنها لا تعثر على أي أرض في ذواتنا. ودونما انقطاع نتعلق بالريح. دونما انقطاع نتحسس جذوراً في الصحراء. ودونما انقطاع تخور قوانا. دونما انقطاع نلتحق بالليل والصمت، مثل الماء في الحُفَر.

Twitter: @ketab_n
www.kutub-pdf.net

من إصدارات دال في الرواية العالمية















www.kutub-pdf.net